مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الثاني عشر – العدد الأول، ص1– 44، يناير 2004م

عقائد الصوفية – أهم عقائد غلاة الصوفية

محمود يوسف الشوبكي

قسم العقيدة والمذاهب الفكرية – كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة

ص.ب : 108، غــــزة – فلسطين

ملخص يتناول هذا البحث أبرز عقائد غلاة الصوفية ويتعرض لهذه العقائد بالنقد والرد. وأبرز هذه العقائـد ، عقيدة وحدة الوجود عند الصوفية وعقيدة الحلول والاتحاد عندهم، والمعرفة عند الصوفية وهـو مـا يعـرف بالكشف عندهم ، وعقيدة الصوفية في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما يعرف بالحقيقة المحمديـة، وقول الصوفية بالفناء وما يفضي إليه هذا القول من ضلال.

ومن ثَمّ يتبين القارئ لهذا البحث ما وصل إليه غلاة الصوفية من الضلال والفساد في العقائد ، وموقف العلماء من هذه العقائد الباطلة.

The Sufi Creeds The Most Significant Creeds of the Extremists of the Sufi

Abstract: This paper aimed to deal with the most significant Sufi Creeds of the Extremists of the Sufi. It criticized and refuted such creeds. The most two prominent Sufi creeds were Unity of Existence and Incarnation-Unification. Knowledge for the Sufi is that which is known by revelation. Their creed in Mohammed (pbuh) is that known by the Mohammed Truth and their claim of ephemeralty with all implications of delusion in such claims.

The reader would understand from this paper to what extent these Sufi extremists have gone towards delusion and eorruption of faith. The scholars stand in this respect was highlighted.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، وأشهد أن لا إلــه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد ...

فإن خير الحديث كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ ، وإن شر الأمــور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْـتُمْ مُسْـلِمُونَ**﴾([1]) ويقــول الله تعالــى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِـدَةٍ وَخَلَـقَ مِنْهَـا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾([2]) وقال أيضاً : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾([3]).

دوافع البحث

إن الحديث عن التصوف وعقائد الصوفية يطول، وخاصة لتعدد طرق الصوفية، واختلاف مناهجهم وتوجهاتهم، فمنهم السابق بالخيرات، وهم الذين حرصوا على متابعة الرسولﷺ ، ومنهم المقتصد الذي يأتي بالفرائض ويتزيا بزي الصوفية، ومنهم الغلاة الذين انحرفوا عن الجادة .

ولما كثرت الكتابات عن الصوفية ما بين مؤيد ومعارض، ومُفرط، ومفرِّط . والحديث عن المعتدلين يطول وخاصة الذين قبلوا كل ما جاء في الكتاب والسنة فقد عزمت متوكلاً على الله أن أكتب في أهم عقائد غلاة الصوفية محذراً المسلمين من هذه العقائد وممن يعتقدها ونحن في زمن كثرت فيه الطرق الصوفية المترامية الأطراف في المجتمعات الإسلامية فلا تكاد تخلو بلدٌ من هؤلاء الصوفية على اختلافهم .

عملي في البحث

لقد جمعت ما تيسر لي من كتب الصوفية ومن تحدث عنهم واستعرضتها، فوجدت المدافع عنهم والمناصر لهم، ووجدت الذي يهاجمهم هجوماً شديداً .

تركت المعتدلين منهم والزهاد لأن الحديث عنهم يطول، وبدأت أجمع المعلومات والأفكار الخاصة بالغلاة منهم، لأنهم شطوا وابتعدوا عن الهدى، فوجدتهم قد وقعوا في بعض البدع والضلالات العقائدية .

فعمدت إلى أبرز هذه العقائد وتناولتها في هذا البحث، وعنونته (**عقائد الصوفية " أهم عقائد غلاة الصوفية "**) .

حرصت على الاختصار والتيسير في كتابتي، ليسهل فهمها للدارس والمطلع، وخاصة أن هذه القضايا يكثر فيها الغموض .

ابتعدت عن التطويل الممل والاختصار المخل، كما ابتعدت عن التطرف والتحامل على القوم بغير ما اقترفوه، وذلك حرصاً مني على العدل .

وقد قمت بترتيب القائلين بهذه العقائد ترتيباً زمنياً بحسب سنة الوفاة .

أردت أن أكتب تمهيداً في تعريف التصوف ونشأته ومصادره وأطواره وأنواعه فوجدته سيطول فأفردت ذلك في بحث آخر مستقل وعنونته " مقدمات في التصوف" وهو يزيد على ستين صفحة.

يتكون هذا البحث من مقدمة، وخمسة مباحث وخاتمة على النحو التالي :–

- **المقدمة** : ذكرت فيها دوافع البحث وعملي فيه .
- **والمبحث الأول** : تناولت فيه وحدة الوجود، ونماذج للقائلين بها، والرد عليهم، وبينت المحاذير المترتبة على القول بوحدة الوجود .
- **والمبحث الثاني** : تناولت فيه عقيدة الحلول والاتحاد، والقائلين بهذه العقيدة والرد عليهم.
- **والمبحث الثالث**: وتناولت فيه المعرفة (الكشف) عند الصوفية والرد على القائلين بهذه العقيدة.
- **والمبحث الرابع** : بينت فيه عقيدة الصوفية في الرسول محمد ﷺ وبينت أقوالهم المتباينة، ورددت عليهم في ذلك .
- **والمبحث الخامس** : وفيه قول الصوفية بالفناء، وبينت أنواعه، وما يجوز منه وما لا يجوز، ورددت على الباطل منه .
- **الخاتمة** : وذكرت فيها أهم النتائج التي خلصت إليها في هذا البحث

فالله أسأل التوفيق والإخلاص في العمل، والعصمة من الزلل، والإنصاف في الحكم وهو نعم المولى ونعم النصير .

المبحث الأول

وحدة الوجود

المراد بوحدة الوجود أن الله لا يوجد مستقلاً عن الأشياء، أو أنه نفس العالم، والأشياء مظاهر لذاته تصدر عنه بالتجلي، أو تفيض عنه فيوض النور عن الشمس.([4])

تعد عقيدة وحدة الوجود من أهم العقائد عند غلاة الصوفية وهي امتداد لقولهم بالفناء ثم بوحدة الشهود والرمزية في التعبير.

والقول بوحدة الوجود لم يكن بدعة الصوفية في التاريخ البشري ، بل هو قديم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقرون، فقد ظهر عند الهنود القدماء حيث ورد في كتابهم المقدس – المسمّى (ريح فيدا) والذي يرجع تاريخه إلى 3100 سنة – أشياء من هذا المذهب.([5])

وقد قال بهذا المذهب الرواقيون([6]) في العام 200 ق. م ، وكذلك الفيلسوف اليوناني سبينوز وأفلوطين الذي عاش بين عامي (205 – 270م) .([7]).

وعلى ذلك تكون هذه العقيدة معروفة في البشرية زمن فلاسفة اليونان القدماء وقبل سقراط الذي توفي سنة 399 ق.م ، عند الهنود القدماء .

وأصل القول بوحدة الوجود قولهم الله والطبيعة شيءٌ واحد، وكذلك قولهم بقدم العالم .

لم تنتشر وتشتهر مقولة وحدة الوجود بين الصوفية إلا على يد كل من محي الدين ابن عربي المتوفى سنة 638 هـ، وعبد الحق بن سبعين المتوفى سنة 669 هـ.

فالصوفي حين ينظر إلى الموجودات على أنها شيءٌ واحد ولا يميز بينها يكون في حال يسمى الجمع فيتوهم وحدة الوجود ، ثم يترقى إلى حال أخرى يميز فيها بين الأشياء وهي حال الفرق، فإذا لم يرتق إلى الفرق كان في خطر عظيم حيث يقع في القول والاعتقاد بوحدة الوجود.([8])

نماذج للقائلين بوحدة الوجود

*** أبو حامد الغزالي (450هـ 505هـ)**

مر الإمام الغزالي في حياته بثلاث مراحل وهي :-

المرحلة الأولى : وهي الفلسفة، حيث تتلمذ على الإمام أبو المعالي الجويني(419 ـ478) الأشعري المذهب، وفي هذه المرحلة درس الفلسفة ووصل إلى الشك وذلك في عام 458 – 489هـ .

المرحلة الثانية : وهي مرحلة التصوف والزهد، حيث أقام في مكة المكرمة تاركاً الدنيا وزخرفها في عام 489 – 499هـ .

المرحلة الثالثة : وهي المرحلة السلفية، حيث انشغل بدراسة وتدريس القرآن والحديث وذلك في أخريات حياته سنة 499 – 505هـ. ([9])

لقد وردت إشارات إلى عقيدة وحدة الوجود عند الغزالي رحمه الله في كتابه مشكاة الأنوار، تشجع الاتحاديون الملحدون الذين قالوا بوحدة الوجود، وقالوا : إن الخلق مجال ومظاهر، لأن وجود الحق ظهر فيها وتجلى، فجعلوا نفس وجوده نفس ظهوره وتجليه في المخلوقات.([10])

واحتج بعضهم بتقسيم التوحيد عند الغزالي حيث يقسم التوحيد إلى أربع مراتب وهي :-

1- من قال لا إله إلا الله بلسانه وقلبه غافل وهو توحيد المنافقين .
2- أن يصدق بمعنى اللفظ وهو اعتقاد العوام وذلك كتصديق عامة المسلمين .
3- أن يشاهد ذلك بطريقة الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين ويرى الأشياء الكثيرة على أنها صادرة عن الله الواحد .
4- أن لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين فلا يرى الكل من حيث أنه كثير، بل من حيث أنه واحد، وهي الغاية القصوى في التوحيد .

وقال عن المرتبة الرابعة أنه من وصل إليها يجب كتم السر وأنه لا يجوز أن يسطر في كتاب لأن إفشاء سر الربوبية كفر.([11])

ويقول أيضاً " ليس في الوجود سوى الله وصفاته وأفعاله " .([12])

وهذا القول قد يحمل على محمل حسن وهو أنه ليس في الوجود إلا الله وصفاته ومخلوقاته (مفعولا ته).

ويقول : " جميع الموجودات مرآة للوجود الحق ، فالظاهر بذاته هو الله سبحانه ، وما سواه فآيات ظهوره ودلائل نوره.([13])

***عمر بن علي بن المرشد ابن الفارض :(576 ــ 632 هــ)**

وهو سلطان العاشقين وقال بوحدة الشهود ووحدة الوجود ، وديوانه مليءٌ بأشعار الوحدة وهاك بعضاً من أشعاره .

قال عن المجوس عبدة النار :

وإن عبد النار المجوس وما انطفت　　　كما جاء في الأخبار في ألف حجةً
فما قصدوا غيري وإن كان قصدهم　　　سواي وإن لم يظهروا عقد نية([14])

وقال عن الذات الإلهية :

جلت في تجليها الوجود لناظري　　　ففي كل مرئي أراها برؤية

وقال:

واشهدت غيبي إذ بدت فوجدتني　　　هنالك إياها بجلـــوة ناظــري
فقــد رفعت تاءُ المخاطب بيننا　　　وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي([15])
وما زلــت إياها وإياي لم تزل　　　ولا فرق بل ذاتي لذاتـــي أحبت([16])
وما كان لي صلى سواي ولم تكن　　　صلاتي لغيري في أداء كــل ركعة([17])

وابن الفارض شعر في أخريات حياته بأن معتقده هو أضغاث أحلام فقال عند موته:

إن كان منزلتي في الحب عندكم　　　ما قد لقيت فقــد ضيعــت أيامــي
أمنية ظفرت روحي بهــا زمنــاً　　　واليوم أحسبها أضغــاث أحلامــي([18])

*** محي الدين ابن عربي ت سنة (638 هــ)**

يعد ابن عربي من أبرز القائلين بوحدة الوجود بل هو أشهرهم وكاد يقتل بسبب أقواله، إلا أنه وجد من يدافع عنه ويؤول كلامه على معان أخرى .

فالحقيقة الوجودية عند ابن عربي واحدة، والتفرقة بين الموجودات اعتبارية، والعقل القاصر هو الذي يفرق بينها تفرقة حقيقية، لأن الله كشف عن ذاته عن طريق الموجودات التي أوجدها، فشاء أن يُري تعيينات أسمائه في مرآة العالم أو الوجود الخارجي.([19])

وقال ابن عربي :" ومن أسمائه الحسنى العلي ، على مَنْ ؟ وما ثَمّ إلا هو ".([20])

وقال أيضاً: فما نظرت عيني إلى غير وجهه ... وما سمعت أذني خلاف كلامه.([21])

ويرى ابن عربي أن وجود الموجودات عن طريق الفيض ، وهو " التجلي الإلهي الدائم الذي لم يزل ولا يزال . وظهور الحق في كل آن فيما لا يحصى عدده من الصور".([22])

وقال :

الرب حق والعبد حق — يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت — أو قلت رب أنى يكلف ([23])

ومن أقوال ابن عربي " سبحان من خلق الأشياء وهو عينها ".([24])

هذا هو ابن عربي الذي يقول عنه من حضر جنازته " رأيت جنازته كأنما ذُرّ عليها الرماد، فرأيتها لا تشبه جنائز الأولياء.([25])

وسبب ذلك أنه شاع صيته واشتهر بأقواله الدالة على عقيدته وأبرز معتقداته القول بوحدة الوجود. فزهدت الناس في تشييعه.

- **عبد الحق ابن سبعين ت سنة (669هـ)**

فقد نقل عنه أنه كان يقول : الوجود كله كوحدة واحدة، وفيه يختلط الزوج بالفرد، ويكون السبت هو الأحد ، والموحد هو عين الأحد ، والذاهب من الزمان هو الحاضر، والأول في الأعيان هو الآخر، والباطن هو الظاهر ، والمؤمن هو الكافر ، والفقير هو الغني.

وكان ينادي بالتوحيد المطلق أو الوحدة المطلقة في الوجود ، وأنه ليس ثم غيره ولا سواه ، وكل شيء هو الله ، وليس إلا الأيس فقط ، ـــ أي ليس إلا الوجود فقط ـــ ، وهو هو،الله الله ([26])، وكان يعلّم مريديه أن يقولوا " سبحان الفرد الزوج الحضيض الأوج "([27]) وكان يقول: رب مالك ، وعبد هالك ، ووهم حالك ، وحق سالك وأنتم ذلك([28]) .

واستدل على وحدة الوجود بقوله تعالى " أينما تولوا فثمَّ وجه الله "([29]) ووجه استدلاله أن الإنسان أينما يوجه وجهه في الصلاة ويعبد من شاء فإنما يعبد الله([30]) وبهذا يفهم القرآن على غير فهمه ويحمله ما لا يحتمل والمراد فثم وجه الله أي فثم قبلة الله والوجه والوجهة هي الجهة وهذه الآية ليست من آيات الصفات وإضافة الجهة والوجهة إلى الله من باب إضافة المفعول إلى

فاعله ، كما يقال خلق الله ، وكعبة الله . لأن السياق في الآية عن الجهات ولله المشرق والمغرب،وجميع هذه الأقوال تدل على عدم تمييز ابن سبعين بين الأشياء،لاعتقاده بأنها جميعها عين الله وذاته.

- **سليمان بن علي العفيف التلمساني (610-690هـ)**

يرى التلمساني أنه ما ثم سوى ولا غير (الله) بوجه من الوجوه وأن الكائنات أجزاء منه وأبعاض له بمنزلة أمواج البحر من البحر.([31])

حيث قال:

البحر لا شك عندي في توحده ... وإن تعدد بالأمواج والزبد
فلا يغرنك ما شاهدت من صور ... فالواحد الرب ساري العين في العدد
فما البحر إلا الموج لا شيء غيره ... وإن فرَّقته كثرة العدد([32])

لذا كان التلمساني لا يرى فرقاً بين البنت والأم والأجنبية فالكل شيءٌ واحد والجميع حلال. ([33])

هذا التلمساني الذي كان يشرح كتاب الفصوص لابن عربي ، فكان إذا قيل له : هذا مخالف للقرآن والحديث . فيقول التلمساني : ارم هذا كله خلف الباب واحضر بقلب صاف.([34])

- **عبد الكريم الجيلي (767 – 832هـ)**

يرى الجيلي أن الله هو الإنسان الكامل وهو الإنسان الكبير، ويستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ووجه استدلاله أن ضمير هو يعود على الإنسان وهو فاعل قل " أنت "([35]) بمعنى قل، أنت الله أحد .

وإن الإنسان لا يزال يرتقى حتى يستوي اتصاف العبد بصفات الله تعالى واتصافه بصفات نفسه فلا يجد في شيءٍ منها تكلف... ([36])

ويدعى لنفسه الربوبية بقوله :-

لي الملك في الدارين لم أر فيهما ... سواي فأرجو فضله أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال وإنني ... جمال جلال الكل ما أنا إلا هو([37])

وقال واصفاً الذات الإلهية :

فوصوفها وصفي وذاتي ذاتها ... لي اسم ولي تلك النعوت توابع([38])

وكذلك استدل على القول بوحدة الوجود بقوله تعالى﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَمَاوَاتِ ومَا فِي الأَرضِ جَمِيعاً مِنْه**﴾ ([39]) بأن الله رحم الموجودات إذ أوجدها من نفسه.([40])

ويرى كذلك أن الله والموجودات كالماء والثلج ففي حقيقتها شيءٌ واحد وإن بـدا الـثلج غير الماء.([41])

القول بوحدة الوجود مدعاة للقول بوحدة الأديان

والناظر في أقوال الصوفية يلاحظ أن القول بوحدة الوجود يجر إلى القول بوحدة الأديان ولهم أقوال كثيرة في ذلك.

حيث يزعمون أن الملل والأديان كلها صادرة عن الواحد بتعدد صوره وأشكاله فلا فرق بين دين أنزله الله ودين ابتدعه البشر ما دام الله هو الوجود المطلق فأفضل الخلق–عند القـائلين بوحدة الوجود– هو من عرف الحقيقة وآمن بها يقصدون بالحقيقة وحدة الوجود، ولا يهم بعد ذلك إن كان المؤمن يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً.([42])

ومن أقوالهم الدالة على وحدة الأديان

قول الحسين بن منصور الحلاج (244 ـ 309) : الكفر والإيمان يفترقان من حيـث الاسم وأما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما([43]) وقال لأحد تلاميذه: يا بني الأديان كلها لله عـزل وجل ، شُغلت بكل دين طائفة ، لا اختياراً منهم بل اختيارٌ لهم([44]) وقد قال:

كفرت بدين الله والكفر واجب ... لديَّ وعند المسلمين قبيح([45])

جحـودي لـك تقـديـس ... وظنـي فيـك تهويـس

ومـــا آدم إلاك ... ومـا في البين إبـليس([46])

وقول ابن عربي : العارف المكمل من رأى كل معبود مجلي للحق يعبد فيه، لذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بشجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك.([47])

وقال :

عقد الخلائقُ في الإله عقائداً ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه([48])

قال ابن الفارض

ومـا زاغت الأبصـار من كل ملة ... وما زاغت الأفكار في كل نحلة

وما قصدوا غيري وإن كان قصدهم ... سوايَ وإن لم يظهروا عقد نية

هذان البيتان من قصيدة طويلة([49]) ذكر فيها حانات الخمر، ومواخير الخطايا وصلوات اليهود ، وبيع النصارى، وبيوت الأصنام، ومجالس الذكر، ومساجد الله ، كلها عند ابن الفـارض ساحات فساح يعبد فيها الله عبادة يحبها ويرضاها، لأنه المعبود فيها والعابد.

وقال الجيلي : ما في الوجود شيء إلا الله تعالى فهو عين جميع الموجودات، وإن عباد الأوثان والأصنام وغيرهم من الكفرة والمشركين موحدون، وأنهم سيحشرون يوم القيامة في زمرة الموحدين، لأنهم جميعاً ما عبدوا إلا الله وحده، فشرك هؤلاء جميعاً هو عين التوحيد.([50])

ويرى الجيلي أن الإنسان يعبد الله موافقاً لما جاءت به الرسل استجابة لصفة الله باعتباره الهادي ويعبد الله مخالفاً لما جاءت به الرسل استجابة لصفته باعتباره المضل، فإن الله حسن عند كل قوم أن يعبدوه من الجهة التي تقتضيها تلك الصفة المؤثرة فيهم وكل واحد في عبادته مأجور ومصيب.([51]) وكذلك قوله تعالى ﴿ **لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا**﴾ أي ما ثم من يطلق عليه اسم الإله إلا هو أنا ، وكل ما أطلقوا عليه اسم الإله فهو أنا.([52])

وتفسير الجيلي لقوله تعالى ﴿ **لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا**﴾ يعني الآلهة المعبودة ليس إلا أنا، فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع ، وفي كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة ، فما تلك الآلهة كلها إلا أنا، ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة ، وتسميته لهم بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه في الحقيقة ، تسمية حقيقية لا مجازية.

إنه أراد أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة ، وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا الله .

الرد على القائلين بوحدة الوجود

1- إن مذهب وحدة الوجود باطل عقلاً ، فمن عرف حقيقته عرف بطلانه بداهة ، لأنه لا يعقل أن يكون الإنسان هو الله ، والحجر هو الله ، والشجر هو الله ، كما لا يعقل أن يكون الإنسان هو الحجر وهو الشجر ، فشتان بين مخلوق ومخلوق ، وشتان بين خالق ومخلوق .

2- إن ما جاءت به الرسل يقتضي المغايرة بين الخالق والمخلوق([53]) وقد جاء على ألسنتهم الاستنكار على من عبد غير الله أو أمر بعبادة غير الله قال تعالى : ﴿**قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**﴾ ([54]) " وقال : ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا**﴾([55]) وقال: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾([56]) وقال ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا**﴾.([57])

3- أجمع المسلمون على مر العصور باختلاف تخصصاتهم سواءً كانوا من العلماء أم من عوام الناس، وسواءً كانوا صالحين أو فاسقين ، أو طائعين أو عاصين – عدا هؤلاء غلاة الصوفية الكفرة – على أن الله هو الخالق وما سواه مخلوق ، وأنه سبحانه لا يحل في المخلوقات ولا تحل فيه وأن الله مباين لخلقه في ذاته وصفاته وأفعاله.([58])

4- الاتحاد والوحدة بين الخالق والمخلوق محال لأن في إتحادهما إما أن يتحولا إلى شيءٍ ثالث مغاير لهما ، أو يبقيا كما هما فليست بوحدة ، أو يبقى أحدهما وينعدم الآخر فيه فليس اتحاد ولا وحدة .

وإذا انعدم أن يتحد العبدان المربوبان فهل يصح ذلك في حق الخالق .

5- مذهب الصوفية مركب من سلب الجهمية وتعطيلهم بل هو أشنع من ذلك ، لأن الجهمية سلبوا كمال الله المقدس فنفوا الصفات والأسماء وأثبتوا العدم ، لكن أهل وحدة الوجود عبدوا كل شيء ، وقولهم مركب من كلمات الصوفية المجملة والشطحات وأقوالهم في حال الغيبة والسكر ... ومن أقوال الفلاسفة والزنادقة التي تعتبر أقوالاً باطلة تدل على الإلحاد ، كقولهم بالوجود المطلق والوجود الواحد وأزلية الكون.([59])

6- القائلون بوحدة الوجود أكفر من اليهود والنصارى:

فإذا قال النصارى : إن الله هو المسيح بن مريم قال غلاة الصوفية : إن الله هو كل شيء ، وإن الله هو الكفار والمنافقون والأرجاس والمجانين والصبيان، وإذا كفَّر الله النصارى بقولهم إن الله ثالث ثلاثة وإن الله هو المسيح بن مريم ، فكيف بمن زعم أن الله هو كل شيء ، ويتجلى في صور العاشقات والمعشوقات ؟ فهو أشد كفراً من النصارى .

وإذا عاب الله على اليهود قولهم " نحن أبناء الله وأحباؤه " فكيف بمن يزعمون أن اليهود والنصارى والمجوس وكافة الكفار هم أعيان الله ووجودهم هو وجود الخالق وليسوا غيره ولا سواه ؟([60]) فإنهم أشد كفراً من اليهود .

7- أقوال الصوفية الدالة على وحدة الوجود مضطربة متناقضة :

فقولهم (إن الكون وما فيه من مخلوقات هي مظاهر الحق) تتناقض لأنه إن كان الظاهر هو المظاهر فنفي للموجودات المتعددة ، وإن كان الظاهر غير المظاهر كانت المغايرة وانتفت الوحدة المزعومة. ويقصدون بالظاهر الله وبالمظاهر الموجودات .

وقول ابن عربي (لقد حق لي عشق الوجود وأهله) أن يعشق كل شيء إبليس وفرعون والنجاسات والخبائث والكلاب والخنازير، وهذا مناقض للشرع والعقل ، ولو آذاه مؤذ وآلمه ألماً شديداً لامتنع من عشقه.([61])

فإذا كان الوجود واحداً فالزوجة عين الأم والأخت فكيف حرمت هذه وحلت الأخرى، وفي الوجود الظالم والمظلوم وهذا عين هذا فكيف يحاسب الظالم ولا يحاسب المظلوم؟... الخ .

لقد كان أحد القائلين بالوحدة يتكلم عن وحدة الوجود ويقول : من قال إن في الكون سوى الله فقد كذب . فقال له آخر فمن الذي كذب ؟ فأفحمه.([62]) يعني إذا كان ما في الوجود هو الله فالذي كذب هو الله . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

حيث يؤمن القائلون بالوحدة بأن لا فرق بين الخالق والمخلوق وبين المؤمن والكافر والمصدق والمكذب ... فالكل سواء .

المحاذير المترتبة على القول بوحدة الوجود

إضافة إلى ما تقدم فإنه يترتب على القول بوحدة الوجود محاذير كثيرة منها

1- إبطال حقيقة التوحيد

فالقول بوحدة الوجود لا وجود معه للتوحيد الذي دعت إليه الرسل ، لأنه لا فرق بين الخالق والمخلوق والموحد والمشرك ، ويمتنع مع القول بالوحدة المطلقة أن يكون الله خلق شيئاً لأن الأشياء ذاتهُ .. وهذا مخالف لصريح القرآن وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ**﴾([63]) لأنه من المحال أن يوجَد الشيء من العدم ، أو يوجِد ذاته فلا بد للموجود من واجد ولا بد للمخلوق من خالق ولا بد للجائز من واجب .

ولا يعقل أن يكون المالك هو المملوك ،والرازق هو المرزوق ، ولا العابد هو المعبود.

2- إبطال عقيدة الولاء والبراء

لأن هذه العقيدة قائمة على أن الدين عند الله الإسلام ، وما سوى ذلك فليس ديناً عند الله ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ**﴾.([64])

وتجب المحبة والولاء لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين ولا تجوز لغيرهم قال تعالى ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾.([65])

وقال تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾.([66])

وقد امتدح الله إبراهيم عليه السلام والذين معه ﴿**إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**....([67])

أما عقيدة وحدة الوجود فقائمة على موالاة كل شئ وكل مخلوق وعدم معاداة أحد في الوجود لأن كل ما في الوجود هو الله، وكل من تواليه إنما توالي الله تعالى.وهذا مناقض لعقيدة الولاء والبراء في دين الله تعالى.

3- القول بإيمان فرعون

بزعمهم أنه عرف الحقيقة وآمن بالوحدة في قوله أنا ربكم الأعلى ، لأن الجميع أرباب عنده لكنه هو الأعلى لأنه الحاكم . وفي قوله وما علمت لكم من إلــه غيــري ... وقــد علــم بالضرورة فــي ديــن الإسلام كفر فرعون وهامان ... وقد ورد ذكر ذلك بصريح القرآن قال تعالى ﴿ **وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَــوْرُودُ**﴾ وقال تعالى ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُــومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾.([68])

ولم يقص القرآن قصة كافر باسمه كما قص لنا قصة فرعون مــن الوضــوح والبيــان والتفصيل والتكرار.([69])

ومعنى أن فرعون يقدم قومه في النار لا أنه يسوقهم بل يكون في مقــدمتهم ، وقولــه تعالى أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، يدخل فيهم فرعون لأنه هو زعيمهم في الكفــر ، ولــيس المراد آله دونه .

4- تعطيل شريعة الإسلام وحدوده

فالقول بوحدة الوجود فيه تعطيل لشريعة الإسلام ، إذ يترتب عليها أن جميــع الآلهــة والمعبودات سواء ، لا فرق بيــن من عبد الله ومن عبد الطــاغوت أو الشــيطان أو الحجــر والشجر .

و هو دعوة إلى الإباحية والفساد فلا فرق بين ما حُرم وما أُبيح لأن الخمر عين المــاء، والزوجة عين البنت والأم عين الأجنبية ... بل عين الدابة فلا فرق عندهم بين من شرب خمراً أو شرب ماءً ، ولا فرق بين من واقع زوجته أو واقع أمه وابنته أو دابته فكله سواء عندهم .

وقولهم يؤدي إلى تعطيل الحدود لأن القاتل هو عين المقتــول، والســارق هــو عــين المسروق بل عين السرقة ، والفاعل هو عين المفعول به وكلهم عين الله وذاته .

وتعطيل للعبادة فكل معبود هو الله وكل عابد هو الله تعالى ، والمأمور به عين المنهــي عنه فلا عبادة ولا شريعة ولا قيود...

5- تخطيء الرسل عليهم السلام

فإذا كان الوجود واحداً والمعبود واحداً مهما كانت الصورة التي عبد فيها ، فكيف قاتلت الرسل عليهم السلام واتباعهم أعداء الله ؟ وكيف استباحوا دماء الكفار ؟ ... وما الموقــف مــن التاريخ الإسلامي الطويل المليء بالجهاد في سبيل الله ؟ وما حكم من قتلوا بسبب كفرهم ؟ ومــا حكم قاتليهم ؟ بل وما فائدة وجود النار يوم القيامة؟ وما فائدة وجود الجنة ؟ وما فائدة البعث ؟

فبناءً على معتقد القائلين بوحدة الوجود يكون الرسل عليهم السلام جميعهم على خطـأ، فيما دعوا إليه من توحيد وتكاليف، وأحكام، وحدود وجهاد . وهذا الكلام هـو صـريح الكفـر والضلال .

6- إبطال الحكمة من الخلق

قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.([70])

فإذا كان القول بوحدة الوجود ، يؤدي إلى إبطال العبادة ، فما هي الحكمة من الخلق ؟ والله عز وجل لم يخلق الخلق عبثاً ، قال تعالى : ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾([71]) بل خلق الله الخلق لحكمة ، خلقهم لعبادته ، وخلق الجنة ليثيب أولياءه ، وخلـق النار ليعاقب أعداءه .

وإذا كان المخلوق الناقص يترفع عن العبث ويحرص أن تكون أفعاله مبنية على حكمة وغاية سامية ، فكيف بالخالق الذي يتصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص . فإن كل كمـال لا يعتريه النقص بوجه من الوجوه يتصف به الخالق .

وكل كمال يتصف به المخلوق لا يكون كمالاً مطلقاً بل يعتريه النقص من أحد الوجوه.

إلى غير ذلك من المحاذير ... للاستزادة يمكن الرجوع إلـى مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابـن تيمية المجلد الثاني ، وإلى تلبيس إبليس لابن الجوزي .

المبحث الثاني

الحلول والاتحاد

ينقسم الحلول والاتحاد إلى أربعة أقسام وذلك بحسب القائلين بهذه العقيدة وقـد قسـم شـيخ الإسلام ابن تيمية([72]) الحلول والاتحاد إلى أربعة أقسام وهى :-

1- **القائلون بالحلول الخاص:** وهم القائلون بحلول روح الإله في بعض أفراد البشر، مثل النصارى النسطورية([73]) الزاعمون أن اللاهوت قد حل في الناسوت، يقصدون أن الله تعالى حل في عيسى عليه السلام كحلول الماء في الإناء، وقال الحلولية هذا لمخالطتهم النصارى . وأول ما ظهر ذلك في عصر المأمون ، وكذلك قول غلاة الشيعة كالسبئية زعموا إن الله حل في علي رضى الله عنه. والباطنية النصيرية الذين زعمـوا أن الله حل في علي رضي الله عنه أيضاً، وكذلك الفاطميون الذين زعموا أن الله حـل فـي الحاكم بأمر الله الفاطمي . وزعم غلاة الصوفية أن الله حل في أوليائهم .

2- **القائلون بالحلول العام:** وهم الذين زعموا أن الله تعالى حل بذاته في كل شيء وفـــي كل مكان. ومثال ذلك الجهمية الذين قالوا بأن الله في كل مكان بذاته .

وقد خلطوا بين أنواع المعية الخاصة والعامة.([74]) وظنوا أن مع تعنى المخالطة والملاصقة مخالفين بذلك قواعد اللغة العربية. فالعرب يقولون سرت مع القمر، وسرت والنيـــل ولا يعقـــل المخالطة والملاصقة كما يزعمون.

3- **القائلون بالاتحاد الخاص :** وهم الذين زعموا أن الله اتحد وامتزج مع بعــض أفــراد البشر كقول الملكانية([75]) من النصارى: أن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمـــازج الخمر اللبن ، أو الماء اللبن قال بذلك غلاة الصوفية الزاعمون أن الله تعالى اتحد بهم.

4- **القائلون بالاتحاد العام :** وهم القائلون بأن عين وجود الحق هي عين وجود الخلــق، وهم القائلون بالوحدة أي بوحدة الوجود وقد تقدم الحديث عنه بالتفصيل.([76])

القائلون بالحلول من الصوفية

1- **أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى (188–261 هــ):**([77]) مـــن أقـــول أبى يزيـــد في الحلول أنه قال عن الله : رفعني مره فأقامني بين يديه وقال لي : يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك. فقلت زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك،وارفعني إلى أحديتك، حتـــى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك. فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا وكان يقول: ســـبحاني، سبحاني ما أعظم شأني، ويقول: حسبي من نفسي حسبي.

2- **الحسين بن منصور الحلاج (ت. 309 هــ) :** وقد زعم الحلاج أن الله حل فيه، وكتابه الطواسين مليء بعقيدة الحلول. وله أقوال كثيرة تدل على ذلك منها قوله من هذب نفسه في الطاعة وصبر على الملذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يصـــفو ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه حظ من البشـــرية حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم عليه السلام.

وقد كتب الحلاج إلى بعض مريديه " من الهو الذي هو رب الأربـــاب المتصـــور فـــي كل صورة إلى عبده فلان "

وكتب إليه أحد اتباعه " يا ذات الذات، ومنتهى غاية الشهوات، نشهد أنك متصور فـــي كل زمان بصورة، وفى زماننا بصورة الحسين بن منصور الحلاج ونحن نســـتجيرك ونرجـــو رحمتك يا علام الغيوب ".

وقال الحلاج : دع الخليقة لتكون أنت هو، أو هو أنت من حيث الحقيقـــة.([78])، وقُـــرئ على الحلاج القرآن فقال : يمكنني أن أقول أو أتكلم أو أؤلف مثل هذا القرآن.([79])

ومن أشعار الحلاج

سبحـــان مــــن أظهر ناسوته ... سر سنـــا لاهوته الثـــاقب
ثـــم بـــدا فـــي خلقـــه ظـــاهراً ... في صـــورة الأكل والشارب
حتى لقـــــد عاينـــه خـــــلقـــه ... كلحظـــة الحاجب بالحاجب(80)
أدعوك بل أنت تدعوني إليك فهل ... ناديت إياك أم ناديت إيائوي
وليس يعلم ما لاقيت مـــن أحد ... لا الذي حلّ مني في سويدائي (81)
وقال : مزجت روحك في روحي كما ... تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيءٌ مسني ... فإذا أنت أنا في كل حال(82)
وقال : مازجت روحك روحي ... في دنوي وبعادي
فأنا أنت كما أنك ... أني ومرادي (83)
وقال : أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصـــــرتني أبصـــرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا (84)
وقال : أنا الحق والحق للحق حق ... لابس ذاته فما ثم فـــرق
قال لي المحبـــوب لما زرته ... من ببابي قلت بالباب أنا
قال لي أنكرت توحيد الهوى ... عندما فرقـــت فـــيه بيننا
ومضـــى عام فلمـــا جئته ... أطرق الباب عليه موهناً
قال لي من أنت قلت انظر ... فما ثم بالباب سوى أنت هنا
قال لي أدركت توحيد الهوى ... وعرفت الحق فادخل يا أنا(85)

وينسب إليه أنه قال

* كنت أطوف حول بيت الله الحرام أطلبه"أي يطلب الله " فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي(86) أي وصل إلى غايته وهى حلول الذات فيه.

* لو كنت يوم القيامة في النار لأحرقت النار، لو كنت في الجنة لانهدم بنيانها. (87)

وقد حضر بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها لا بليـــل ولا بالنهـــار ففتشـــوا المخلاة فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان.

وأقر الحلاج بأن هذا كلامه وخطه، فقيل له أنت تدعي الروبية ؟! فقـــال مـــا أدعـــي الربوبية ولكن هذا عين الجمع* عندنا.(88)

وقد قتل الحلاج على الزندقه بإقراره واعترافه بأقواله وأشعاره.

3- **أبو حمزة الحلولي:** وهو محمد بن إسماعيل الفرغانى صوفي عابد ت (331) هـ كان أبو حمزة إذا سمع صوتاً قال: لبيك سيدي .

لقد كان أبو حمزة في بيت الحارث المحاسبي فسمع صوت شاة، فقال لبيك سيدي، فعمد الحارث إلى سكين وقال له: إن لم تتب أذبحك فقال له أبو حمزة: إن إنكارك على يشبه المريدين المبتدئين.([89])

وكان يدرس ويعظ في أحد المساجد فسمع غراباً يصيح فقال لبيك سيدي، فتفرق عنه الناس وقالوا حلولي زنديق . وبيع فرسه على باب المسجد ونادوا هذا فرس الزنديق 0

الرد على القائلين بالحلول

1- فكرة الحلول غريبة عن الفكر الإسلامي، فقد ظهرت فكرة الحلول عند الهندوس وعند فلاسفة اليونان، وعند قدماء المصريين، وهي عقيدة نصرانية متفق عليها بين جميع طوائف النصارى على اختلاف فيما بينهم. حتى أن بعض القائلين بالحلول استعملوا ألفاظ النصارى كالحلاج الذي كان يزعم بحلول لاهوت الله في ناسوته.

2–الحلول يناقض التوحيد، فالتوحيد قائم على أساس إفراد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ومباينته لخلقه.

والحلول قائم على أساس مخالطة الله لخلقه وامتزاجه بهم وعدم التمييز بين الخالق والمخلوق، والحلولية يعتبرون معتقدهم سر الله تعالى الذي يجب عدم البوح به ، ومن أباحه سفك دمه.([90])

قال الحلاج

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم — وكذا دماء البائحين تباح[91]

وقال غيره :

من باح بالسر كان القتل شيمته — بين الرجال ولم يأخذ له ثار

لذلك كان الصادقون منهم ينكرون ذلك فقد عرَّف الجنيد التوحيد بقوله: التوحيد إفراد الحدوث عن القدم، بمعنى أن التوحيد هو التمييز بين القديم والمحدث.([92])

3–الحلولية هدفهم طمس الدين فالحلاج أصله فارسي وكان أحد دعاة الشيعة الإسماعيلية، وكان من القرامطة، وكان يظهر التشيع أمام الحكام،والتصوف أمام العامة.([93])

4- من المحال أن يحل الله في غيره، لأن الله واجب الوجود، والواجب لا يحل في غيره ولا يفتقر إلى غيره، والحلول احتياج وافتقار، وإذا حل القديم في شيء وهو منزه عن الحدث، وجب القدم للمحل الذي حل فيه، وتعدد القدماء محال.

وعند الحلول إما أن يكون المحل يقبل الانقسام والتركيب أو لا فإذا قبله ثبت التعدد والاحتياج، وإذا لم يقبله كان الحال حقيراً لحقارة المحل الذي حل فيه.([94])

5- الله تعالى خالق وما سواه مخلوق، وأنه ليس فيه شيء من خلقه ولا في خلقه شيء منه، وذلك معلوم من دين الله بالضرورة . وكل من آمن بالحلول فهو أكفر من النصارى، لأن الله حكم بكفر النصارى الذين اعتقدوا بحلول الله في عيسى عليه السلام وهو نبي من أولي العزم من الرسل، فكيف بمن اعتقد بحلول الله في ذاته، أو في آحاد الناس، أو في الحيوانات أوفي الأرجاس....؟ فقد وقعوا في كفر عظيم.

فإذا كان النصارى زعموا أن الله حل في المسيح لأنه ولد من غير أب، فليس هناك تفضيل في خلق مشايخ الصوفية على سائر البشر.([95])

6- لقد استدل القائلون بالحلول بتفسيرهم الباطل لبعض آيات القرآن دون الاعتماد على أساليب اللغة العربية أو أقوال أئمة الإسلام والمفسرين حيث استدلوا بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**﴾ ([96]) فزعموا أن الله تعالى هو الرسول عليه السلام أوحل فيه، وهذا المعنى واضح البطلان لأنه لم يقل به أحد من المسلمين لا خاصتهم ولا عامتهم .

فالمعنى الصحيح هو أنك يا محمد صلى الله عليك رسول الله ومبلغ أمره فمن أطاعك فقد أطاع الله تعالى ومن بايعك فإنما يبايع الله تعالى كقوله صلى الله عليه وسلم (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني)([97]) ولم يقل أحد بأن الرسول هو الله أو أن الأمير هو الرسول أوحل فيه.([98])

وكذلك لم يميزوا بين قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ ([99]) وقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ ([100]) ولا قوله تعالى : ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ ([101])فإن الفارق كبير ، وهو معكم أينما كنتم معية عامة تعني أنه يسمع ويرى، وقوله إن الله مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد، وفي كل ذلك فإن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه.

فمعية الله لا تعني المخالطة والملاصقة كما زعم الحلولية، لأنه يقال في اللغة سرت مع القمر ولا يقصد المتحدث أنه خالط القمر أو كان ملاصقا له بل الإنسان يسير في الأرض والقمر يكون في السماء.

7- أجمع العلماء على تضليل من قال بالحلول ومن تبعه ، بل قال ابن تيمية: إن من شك بكفرهم بعد معرفته قولهم، ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، وهو كمن شك في كفر النصارى واليهود والمشركين.([102])

وفي الحاوي للفتاوى أقوال كثيرة لعدد من العلماء يكفرون من قـال بـالحلول وذكـر الإجماع على كفر الحلولية .([103])

8– وابــن تيمية([104]) رحمه الله في سياق رده على الاتحادية قال : إن قولهم مركب من ثلاثـة مـــواد :

– **سلب الجهمية وتعطيلهم:** وهم الذين زعموا أن الله في كل مكان وأنه لا يتصف بصفة. وكان ذلك يغلب على عبد الحق ابن سبعين و محمد بن إسحاق صدر الدين أبو سليمان القونـوي (ت 673هـ) .

– **ومجملات الصوفية :** وهو ما يوجد في كلام بعضهم، من الكلمـات المجملـة والمتشـابهة، ويتركون المحكم، وأيضاً كلمات المغلوبين على عقلهم الذين تكلموا في حال السكر، وكان ذلـك يغلب على محي الدين بن عربي.

وكذلك ضلت النصارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح عليه السـلام مـن الكـلام المجمل .

– **ومن الزندقة الفلسفية:** التي هي أصل التجهم، وكلامهم فـي الوجـود المطلـق والعقـول والنفوس، والوحي والنبوة ، والوجوب والإمكان، وما في ذلك من حـق وباطـل ، و العفيـف التلمساني أعظمهم تحقيقاً لهذه الزندقة و الاتحاد .

المبحث الثالث

المعرفة عند الصوفية (الكشف)

يعتقد كثير من الصوفية إن علومهم تؤخذ عن طريق الكشف والإلهـام الحاصـل عـن طريق الرياضات والمجاهدات . ودافعهم إلى ذلك كما يقول الشافعي الكسل واستعجال الولايـات وطلب الدنيا ، والحصول على ذلك عن طريق طلب العلم الشرعي يطول ويتعب البدن، فوجـدوا فـي علوم الكشف بديلاً ، ولكنه ليس شرعياً.([105]) لذا يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله عـن الصوفية : (إن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا علـى دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة، بل الطريـق تقديم المجاهدة ، ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم ... وانكشف له سر الملكوت ... فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمـة مـع الإرادة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة. ويرى أبو حامد إن علوم

الأنبياء والأولياء عن طريق المكاشفة ، لا بالتعلم و الكتابة للكتب ... ثمّ قال : وزعمـوا أنـه ينبغي لمن أراد أن يحصل على العلوم أن يجمع همه ويفرغ القلب من الشواغل عـن الأهـل و المال والولد والوطن والعلم ... ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسـير ولا بكتـب حديث ولا غيره ... بل عن طريق الخلوة واستدامة الذكر باللسان ، ثم وقف اللسان وكأن الذكر جار على لسانه ثم ينطبع في القلب ... فعند ذلك يصبح متعرضاً لنفحات رحمة الله فلا يبقـى إلا الانتظار ليفتح عليه من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق.([106])

ثم يقول للقلب بابان باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة ، والإنسان عن طريق المجاهدة يمكن أن يفتح له باب الملكوت فيحصل علماً يقينياً عن طريق النوم والرؤية.([107])

وقال أبو حامد: اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط ينبغي أن يؤمن به فإن درجه المعرفة فيه عزيزة جداً.([108])

واستدل الغزالي رحمه الله بدلائل على ذلك منها قوله " وكان أبو يزيد البسطامي وغيره يقول : ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي صار جاهلاً ، إنما العالم الذي يأخذ علمـه من ربه أي وقت شاء ، بلا حفظ ولا درس ، وهذا هو العلم الرباني، الذي أشار اليه الله تعالى بقوله: ﴿ **وَعَلَّمْنَاه مِنْ لَدنّا عِلْماً** ﴾ مع أن كل علم من لدنه لكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنيا.([109]) .

ويقول:" الوحي حلية الأنبياء والإلهام زينة الأولياء".([110]) .

ونلاحظ أنّ أباحامد الغزالي رحمه الله ينتقد الصوفية في تركهم التشاغل بالعلم والأهـل والولد والمال والوطن ليحصل لهم الكشف . ولكنّه يقر بإمكان حصول الإنسان على العلـوم عن طريق الكشف ، ويعتمد على العلوم الكشفية .

ونقل ابن الجوزي عن عدد من العلماء أنّ الصوفية ذموا العلماء، وزعموا أن الاشتغال بالعلم بطالة لأن علومهم بلا واسطة، وتوهم قوم من الصوفية أنّ المقصود هو العمـل، ومـا فهموا أن التشاغل في العلم – الشرعي – من أوفى العمل ، وإنّ العالم وإن قصر في العمـل فهو على الجادة والعابد بغير علم على غير الطريق.

وزعموا أن العالم من اكتسب من البواطن حتى يقول أحدهم حدثني قلبي عن ربي.

ويقول آخر :

إذا طالبوني بعلم الورق   برزت عليهم بعلم الخرق

واستدل المتصوفة بحديث لا اصل له عن علي رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم (علم الباطن سر من أسرار الله عز وجل وحكم من أحكامه يقذفـه الله عز وجل في قلوب من يشاء من أوليائه) وهذا الحديث كما يقول ابن الجوزي لا أصـل لـه وفي إسناده مجاهيل.([111]) .

وكان العفيف التلمساني يشرح كتاب الفصوص ،فإذا قيل له هـذا مخـالف للقـرآن والحديث، قال التلمساني: ارم هذا كله خلف الباب واحضر بقلب صاف.([112])

ولان الصوفية اعتمدوا على علم المكاشفة كانوا يدفنون الكتب في التراب أو يلقوها في اليم، وذلك لإتلافها كما أنهم كانوا يزعمون أن من اعتمد على العلم الشرعي والحديث والكتابة فإنه لا يمكن أن يصل أبداً .

فقد كان أبو الحسن بن الخلال (ت 566) حسن الفهم، وله صبر على الحديث وأنه كان يتصوف ويرمي بالحديث مدة ، ثم يرجع ويكتب، ولقد رمى بجملة من سماعاته القديمة فـي دجلة.([113])

يقول أبو بكر الشبلي (244 ــ 334) : أعرف من لم يدخل في هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وأغرق في هذه الدجله سبعين قمطراً مكتوباً بخطه.([114])

وقال أبو سعيد عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي (ت 257 هـ) : كنت أنزل رباط الصوفية ، واطلب الحديث في خفية ، بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة يوماً من كمى فقال لي بعض الصوفية استر عورتك.([115])

وقال الحسين بن أحمد الصفار (372 هـ): كان بيدي محبرة فقال لي الشبلي: غيّـب سوادك عنى يكفيني سواد قلبي.([116])

الرد على قول الصوفية بالكشف:

1- إن الحق الذي لا باطل فيـه هـو مـا جاء عن الله تعالى ، وذلك لا يعرف إلا من الكتـاب والسنـة والإجماع، ([117]) قال تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾.([118])

لذا لا يصح التحاكم إلى الرؤى المناميه ولا إلى المكاشفات، لأن ذلك ليس بمنضـبط ولا يعلم الصادق من الكاذب.

2-شرط العلم النافع التقوى ﴿ **وَاتقُوا الله وَيُعَلمكُمْ الله**﴾ وكل من خالف الكتاب والسنة أو جاء بعلم يخالفهما فليس تقياً حتى وإن ادعى الولاية والصلاح.

3- الفراسة هي أمر يقذفه الله في قلب المؤمن وهو خاطر يخطر للإنسان يميز فيه بـين الحـق والباطل ([119]) ، والكشف يحصل بطريق الرياضة والجوع والسهر وهذا قد يحصل للكافر كمـا

يحصل للمؤمن فقد حصل على ذلك كثير من المرتاضين من كفرة الهند والنصارى والمجوس.([120]) فالمميز بين الفراسة وإلقاء الشيطان هو التقوى.

4- من لم تحصل له فراسة أو خارق لا يلحق ذلك ضرراً به ولا يؤثر ذلك في دينه وإيمانه ، وليس الفراسة هي مقياس محبه الله للعبد ورضاه به .

وقد يسلك بعض الصوفية الطرق ويقضي عمره في العبادة ولا يحصل له شيء من مكاشفاتهم فهل يضره ذلك إن كان على سنه المصطفى صلى الله عليه وسلم؟

5-إن طريق المكاشفة يبعد عن العلم الشرعي ويزهد فيه قال أبو حامد الغزالي: " من الأولياء من يكاد يشرق نوره حتى يستغني عن مدد الأنبياء " ([121])

وقال أبو القاسم الجنيذ بن محمد (ت297) " إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه، وقال الدقي: "سوء أدب الفقراء انحطاطهم من الحقيقة إلى العلم ".([122])

6- كثير من غلاه الصوفية و الزنادقه يقدمون الكشف والذوق على ظاهر الكتاب والسنة عند التعارض ، وأدى ذلك ببعضهم إلى إسقاط التكاليف الشرعية.

قال أبو حامد الغزالى " ومن جنس ما يدعيه بعض من يدعي أنه قد بلغ حالة بينه وبين الله عز وجل أسقطت عنه الصلاة وحل له شرب الخمر والمعاصي " .([123])

7- وأما إتلاف الصوفية للكتب فلا تخلو هذه الكتب التي دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل. فإن كان الذي أتلفوه باطلاً، فلا لوم عليهم. وان كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان معذوراً في إتلافها، كما دفن سفيان الثوري (97 ــ161) الكتب التي فيها اختلاط وان كان فيها الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم، وهى أموال لا يصح تضييعها. كما يرد عليهم من ثلاثة وجوه:-

أ - إنك لو فهمت لعلمت أنّ التشاغل بالعلم أوفى العبادات .

ب- إن اليقظة التي وقعت لك لا تدوم، وقد تندم بعد فوات الأوان، ولا تبقى القلوب على صفائها فقد تصدأ وتحتاج إلى النظر في كتب العلم، ومن أضاع الكتب قد يحدِّث من علمه فيحصل له خلط .

ج- وإذا استمرت يقظتك وحفظك ، فهل وهبتها لمن هو دونك ، أو أوقفتها على من ينتفع بها، أو بعتها وتصدقت بثمنها.([124])

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (164 ـ241 هـ)يرى المحابر بأيدي طلبه العلم فيقول : هذه سرج الإسلام وكان رحمه الله يحمل المحبرة على كبر سنه ، فقال له رجل : إلى متى يا أبا عبد الله فقال: المحبرة إلى المقبرة.([125])

8- إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضبطوا الحديث وحفظوا القرآن وكتبوه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على ذلك ومن ذلك قوله " استعن على حفظك بيمينك"([126]) يعنى بالكتابة، وروى ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " قيدوا العلم فقلت وما تقيده ؟ قال: الكتابة "([127]) ولما سئل عليه السلام عن كتابة أقواله قال : " اكتبوا ولا حرج " ([128]) والعلم هو النور والجهل ظلام ، فمن ترك العلم عاش في ظلمة الجهل .

المبحث الرابع

عقيدة الصوفية في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

لقد انقسم الصوفيون في نظرتهم إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عدة أقسام وهي :-

1- وصفه بالصوفية

توجد فكرة صوفية قديمة عند كثير من الصوفية ، ولازالت هذه الفكرة سائدة بين صوفية اليوم، وهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذا نزعة صوفية، وكان يحمل نفسه على الجوع والعطش والحرمان ، وكان يروض نفسه على الخشونة في المأكل والملبس ، وعلى شظف العيش.

وأخطأ أولئك تفسير طبيعة الحياة التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أجواء مكة الحارة ، والحياة القبلية العربية الخشنة ، فكانت حياته متأثرة بالظروف المعيشية ولم يكن عليه السلام من المتكلفين .

إلا أننا نستطيع أن نجزم أن محمداً عليه السلام كان يرفض الجاهلية بما فيها من ترف وفساد في العقائد والأخلاق ، والعصبية والتمايز .

وأكبر دليل على رفضه لكل ذلك هو اعتزاله في غار حراء يتحنث ويمكث فيه الأيام والليالي. ووقوفه في الجاهلية مع الحجيج في المشاعر في عرفات ومنى رافضاً لبدعة الحمس.([129])ورفضه عبادة الأصنام منذ صغره .

كل ذلك مع مشاركته لقومه في عظائم الأمور، فقد شارك في بناء الكعبة، وكان يحمل الحجارة على عاتقه وهو صغير، وحضر حلف الفضول فأعجبه ذلك واستحبه، ورعى الغنم، وتاجر في مال خديجة رضي الله عنها .

2- التغني والتغزل بجماله

فقد ظهر فريق من جهلة الصوفية طاب لهم الكلام عن اعتدال قدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمال وجهه، وجعلوا ذلك بضاعتهم فهم يشبهونه بالغزال وغصن البان ليناً وبهجة و أسرفوا في القصائد الغزلية المتوارثة من عصور الانحلال والتي يجري فيها مدح الرسول عليه السلام مجرى الهوى والصبابة.([130])

والتغني بمعجزاته، ونسج القصص الكثيرة المكذوبة حول معجزات لم تنص عليها كتب السير والمغازي ودلائل النبوة.

ويظهر كثير من ذلك عند الصوفية في إحياء الموالد والمناسبات الدينية.

3- ختم الولاية

بعض الصوفية جعلوا لأنفسهم أو لأئمتهم وشيوخهم منزلة أعظم من منزلة الرسول ﷺ.

ومن ذلك الذين زعموا أن الله ختم بهم الولاية وجعلوا ذلك الختم أعظم من منزلة الرسول ﷺ.وإن كان أول من تكلم في ختم الولاية هو محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت320) وهو غير الترمذي صاحب السنن، ولم يعرف لفظ ختم الولاية قبله إلا أنه لم يفضل نفسه على محمد صلى الله عليه وسلم. حتى جاء ابن عربي وادعى أنه خاتم الأولياء وفضل نفسه على سيد البشر أجمعين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.([131])

وذلك لأن ابن عربي يعتبر مقام الولاية أعلى من النبوة والرسالة حيث يقول :

مقام النبوة في برزخ   فويق الرسول ودون الولي([132])

حيث جعل أعلى المقامات الولاية ثم النبوة ثم الرسالة، والصحيح هو عكس ما ذهب إليه. ومحمد عندهم أي مدعى ختم الولاية – يأخذ من الملك الذي هو عندهم خيال في نفسه، وذلك الخيال يأخذ عن العقل، ومحمد عندهم يأخذ عن جبريل، وجبريل يأخذ عن ما علمه من النفس الكلية . فيزعم ابن عربي أنه يأخذ من العقل، وهو المعدن الذي يأخذ منه جبريل، فإن ابن عربي وهؤلاء يعظمون طريق المشاهدة والرياضة والعبادة، ويذمون طرق النظر والقياس.

وما يدعونه من الكشف والمشاهدة، عامته خيالات أنفسهم ويسمونه حقيقة "([133]) .

وممن ادعى لنفسه ختم الولاية محمد عثمان الميرغني ، المتوفى سنة 1268هـ فقد زعم أن من رآه أو رأى من رآه إلى خمسة لم تمسه النار ويزعمون أن لا حرج في ذلك فإن الله يختص برحمته من يشاء.([134])

ومن ادعى ختم الولاية أحمد التجاني (1150 ــ1230 هــ) الذي تنسب إليه الطريقة التجانية جاء في الياقوتة الفريدة وهي منظومة تتحدث عن الشيخ التجاني وصفه بختم الولاية ما يلي:

هو البرزخ الأعلى وأس الوسائل ... وينبوع رحمة وبحر الحقيقة
به ختم المولى كمال الولاية ... كما ختمت رأساً بروح وكلمة
فبالختم والمكتوم سمي عندهم ... لختم ولاية وكتمان رتبة
سينزل خاتماً ظهور ولاية ... فليس ولي بعده بالمشيئة([135])

وقد ادعى ختم الولاية كثير من الصوفية ما بين الترمذي الذي عاش في القرن الثالث إلى الميرغني الذي تنسب إليه الطريقة الختمية الموجودة في السودان في القرن الثالث عشر، فالفكرة منذ أزيد من ألف عام وهي تراود عقول الطامعين الكاذبين.

ويدخل في هذا القسم من الناس من زعم أن الله حل فيه أو في بعض البشر، وكذلك الذين آمنوا بوحدة الوجود.

4- الحقيقة المحمدية

يصور الصوفية الحقيقة المحمدية على أنه هو الله وأسماؤه وصفاته ومن أجله خلقت الدنيا والخلق ، وأن الدنيا والآخرة هي من جوده، بل خلقت من نوره، وهو أول الخلق ... ولهم في ذلك أقوال منها.

جاء في التعريفات للجرجاني عن تعريف الصوفية للحقيقة المحمدية " هي الذات مع التعيُّن، ولها الأسماء الحسنى، وهي اسم الله الأعظم.([136])

يقول الحلاج عن الرسول عليه السلام : " حضر فأحضر، وأبصر فخبر...وما أخبر إلا عن بصيرته ... أنوار النبوة من نوره برزت ... همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم واسمه سبق القلم ... العلوم كلها قطرة من بحره ".([137])

وفي البردة:

وكيف تدعو للدنيا ضرورة من ... لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... وأحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم
محمد خبيت بالنور طينته ... محمد لم يزل نوراً من القدم([138])

وتزعم الصوفية أن " شأن محمد ﷺ في جميع تصرفاته شأن الله تعالى ، فما في الوجود إلا محمد ﷺ ولا يُدرى لحقيقته غاية، ولا يعلم لها نهاية، فهو من الغيب الذي نؤمن به. ولما كانت

بشريته ﷺنوراً محضاً ، كانت فضلاته مقدسة طاهرة، ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة، وهذا النور المحمدي هو المعنيُ بروح الله المنفوخ في آدم عليه السلام ، فروح الله نور محمد ﷺ "([139]).

يقول محيي الدين بن عربي

ثم تمَّمها الجامع للكل محمد صلى الله عليه وسلم بما أخبر به عن الحق بأنه عين السمع والبصر واليد([140]).

ويقول عن محمد صلى الله عليه وسلم: إنه سر الهُوية في كل شيء سارية، الجامع بين العبودية والربوبية، الشامل للإمكانية والوجوبية([141]) .

وقال أبو طالب محمد بن علي المكي (ت386 هـ)

قال بعض أهل المعرفة: خلق الله الجنة بما فيها من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم، فلما اشتاقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شوقها إلى المعدن والأصل، وصار شوق المشتاقين إلى الجنة شوقهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنها من نوره خلقت([142]).

وينسب بعض الصوفية إلى كعب الأحبار قوله:" أول ما خلق الله جوهرة، وخلق من الجوهرة ظلمة،وخلق من الظلمة نوراً،وخلق من النور نور محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق الخلق بتسعة آلاف عام([143]).

وهناك أقوال كثيرة في كتاب دلائل الخيرات لمحمد بن سليمان الجزولي، وكتاب أفضل الصلوات على سيد السادات ليوسف بن إسماعيل النبهاني، كلها تدور في فلك الأقوال المتقدمة، وينقل عنهما محمد عبد الرؤوف القاسم أقوالاً كثيرة في كتابه الكشف عن حقيقة الصوفية .

وهذه الأقوال كلها تبين بوضوح موقف قائليها المتصوفة من الحقيقة المحمدية والتي تتلخص فيما يلي :-

أ- إن محمداً عليه السلام هو ذات الله تعالى ، وهو أسماء الله وصفاته وهو اسمه الأعظم .

ب- وإنه هو الواجب والممكن وهو الأول والآخر وهو النور الذي خلقت منه جميع الكائنات وهو روح الله تعالى وجزء الله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ج- إن جميع الكائنات خلقت لأجل محمد صلى الله عليه وسلم .

د- إنه عليه السلام يعلم علم الأولين والآخرين وعلوم اللوح والقلم .

هـ- إن محمداً عليه السلام خلق قبل الخلق بآلاف السنين. وكيف يكون قد خلق وهم يزعمون أنه ذات الله وأسماؤه وصفاته ؟!

الرد على المتصوفة في موقفهم من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

– **أما القسم الأول** الذين وصفوه بالتصوف فهذا زعم باطل فلم يصفه قبلهم بذلك الوصف أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولا التابعون رحمهم الله وهم أعلم الناس بالرسول عليه السلام وبصفاته .

كما أن الصوفية لم تكن معروفة إلا في القرن الثاني الهجري والثالث أي بعد لحاقه صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بأكثر من قرن من الزمان.

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام بل يأكل أطيب ما تيسرله، وكان يتزوج النساء وكان يقوم من الليل وينام فيه أيضاً، وكانت سنته التوسط في الأمور بلا إفراط ولا تفريط وكان يقول من رغب عن سنتي فليس مني.

– **وأما القسم الثاني** منهم فكانوا يسيئون الأدب في حديثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أنه كان ممتلأً رجولة وجمالاً صلى الله عليه وسلم، وكان في سيره كأنه ينحدر من علي، وكان إذا تكلم أفصح وأسمع، وجمال وجهه وبهاء طلعته كانت تدل الناظر والمتفرس على أنه ليس بوجه كاذب.

فإذا كان يجب على المسلم عندما يتحدث عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتأدب في الحديث عنهنّ، لأنهن أمهات المؤمنين ، فحديثه عنهن كحديثه عن أمه ، فكيف بحديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون أكثر تأدباً .

– وأما القسم الثالث وهم القائلون بختم الولاية

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ ([144]) وهذه الآية صريحة في أن أولياء الله تعالى يتصفون بالإيمان والتقوى ومدعي ختم الولاية ليسوا بأولياء لانتفاء الإيمان والتقوى عنهم.

إن هؤلاء القوم فضلوا أنفسهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو لا يفضله أحد من البشر لا قبله ولا بعده ، لأنه سيد البشر أجمعين.

إن أفضل الأولياء على الإطلاق هم السابقون الأولون وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وذلك باتفاق الأمة، فكيف يزعم هؤلاء أن الله ختم بهم الولاية وأنهم أفضل الأولياء .

لم يرد لفظ ختم الولاية لا في كتاب ولا سنة فهذا لفظ محدث والغرض منه تضليل الأمة والتشبه بوصف ختم النبوة، فإذا فاتتهم الرياسة والنبوة ادعوا ختم الولاية وهذا باطل لم ينزل الله به سلطاناً .

وأما قول الصوفية بالحقيقة المحمدية

فواضح البطلان عند من عرف الله تعالى وآمن به، وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم وأمن به ، وقرأ القرآن وآمن به.

1- ونحن نؤمن بالله تعالى وبرسوله عليه السلام، وبأن الله عز وجل قد خص سيدنا محمداً عليه السلام بخصائص كثيرة، فهو خاتم النبيين، وأول المبعوثين، وسيد الخلق أجمعين ... ولكن لا يجوز أن نخصه بخصائص الربوبية والألوهية لأنها خصائص الرب عز وجل، وقد قال صلى الله عليه وسلم: " لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم فإنما عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله.(145)

2- معظم كلام غلاة الصوفية من قبيل الرؤى الشيطانية والمكاشفات، التي يشاهدونها في حالة الغيبوبة والسكر... ويعتبرون ذلك هو الحق وما دونه الباطل، وينسخون به القرآن، أو يؤلّونه على حسب تلك الرؤى والأحوال... وكلامهم في الحقيقة المحمدية هو من هذا القبيل والعياذ بالله.

3- زعم الصوفية أن الرسول عليه السلام يملك الدنيا والآخرة وهو يعلم علم الأولين والآخرين، ومن علومه علم اللوح والقلم، والله عز وجل يقول مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم **﴿لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾** (146) ، **﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾**(147) وقال تعالى مبيناً عدم معرفة الرسول ﷺ بالغيب **﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ﴾**. (148)

4- زعموا أن محمداً عليه السلام أول الخلق، وخلق قبل القلم ، وهذا زعم باطل ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " أول ما خلق الله القلم ، قال: له اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد".(149)

وقال: " خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق وآخر ساعة من النهار ، فيما بين العصر إلى الليل ".(150)

ونحن نجزم أن سيدنا محمداً من ذرية آدم وهو ليس أول الخلق بل معلوم عندنا نسبه ومولده الذي كان عام الفيل ، وكانت وفاته بعد أربع وستين سنة من مولده.

5- وإذا كانت الدنيا والآخرة هي من جود الرسول صلى الله عليه وسلم فماذا أبقى غلاة الصوفية لله عز وجل، وهو مالك يوم الدين، ورب الدنيا والآخرة .

6- والرسول صلى الله عليه وسلم من البشر، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾**(151) فالله أمره أن يبين للناس أنه بشر مثلهم ولا يمتاز عنهم إلا بالوحي الذي

خصه الله وسائر الأنبياء والمرسلين به، وكل خاصية من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة لهذا الوحي، كما أمره أن يبين لهم أن إلههم هو الله وحده المختص بخصائص الربوبية والألوهية، المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص.

7– زعموا أنه جاء بالوحي من تلقاء نفسه ، وأنه أبصر فحدث عن بصيرته، وهذا هو زعم المشركين الأوائل الذين قالوا إن هذا إلا قول البشر ، ورد الله تعالى عليهم بقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾.([152])

وبين الله عز وجل أنه لو تقول على الله تعالى بغير وحي الله أو من تلقاء نفسه ونسب إلى الله ما لم يقله ، لقصمه الله ، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾.([153])

كما نفى الله عنه أن يكون ساحراً أو شاعراً أو يأتي بشيء من تلقاء نفسه ، وقد انقطع عنه الوحي فترة فكان الرسول صلى الله عليه وسلم في حزن شديد ظاناً أن ربه قد تركه وقلاه وخذله حتى تنزّلت سورة الضحى تنفي ذلك عنه ﴿**وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾.([154])

8– زعموا أنه عليه السلام يعلم علوم اللوح والقلم ، وقد كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ علوم كل شيء منذ بدءِ الخلق إلى الأبد ، وعلم الأولين والآخرين وعلم الدنيا والآخرة ، وهذا العلم خاص بالله عز وجل ، إلا من علمه الله تعالى شيئاً من علمه قال تعالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾.([155])

وكان صلى الله عليه وسلم يُسأل عن أشياء فلا يخبر بها حتى يوحي الله تعالى إليه، ولو كان يعلم علم اللوح والقلم كما يزعمون، لما قبل الفداء في أسرى بدر وقصتهم مشهورة .

وفي سبب نزول سورة الكهف حين سألته قريش بإيعاز من اليهود عن الفتية الذين طاردهم الملك، وعن الرجل الذي طاف مشارق الأرض ومغاربها، وعن الروح فقال أخبركم غداً ولم يستثن – أي لم يقل إن شاء الله – فانقطع عنه الوحي خمس عشرة ليلة ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة، وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء جبريل عليه السلام بسورة الكهف يحدثه فيها عن ذلك([156]) ويعاتبه ربه بقوله: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾.([157])

9 ـ وزعموا أن الدنيا وما فيها خلقت من أجل محمد صلى الله عليه وسلم متناسين قوله تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾([158]) فالدنيا وما فيها من إنس وجن خلقت لغاية واحدة

وهي عبادة الله عز وجل وحده ومن أجل هذه العبادة خلق محمد صلى الله عليه وسلم وجميع المرسلين ومن اجل ذلك أنزلت الكتب.

وهذا الكلام كله لا يقلل من شأن محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين والمبعوث رحمة للعالمين.

المبحث الخامس

قول الصوفية بالفناء

والفناء لغة مصدر فني فناءً إذا اضمحل وتلاشى وعدم، وقد يطلق على من تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه كما قال الفقهاء: لا يقتل في المعركة شيخٌ فان. وقال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾([159]) أي: هالك ذاهب([160]). وهذا ليس هو المعنى الذي أراده الصوفية، لذلك قال الشعبي: إذا قرأت ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ فلا تسكت حتى تقرأ ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾([161]) إذ المراد الإخبار بفناء من عليها مع بقاء وجهه سبحانه وتعالى.([162])

ويقابل الفناء البقاء، والبقاء على لسان العلم ومقتضى اللغة ثلاثة أنواع:-

* **الأول:** بقاء طرفه الأول في الفناء وطرفه الآخر في الفناء مثاله هذه الدنيا التي لم تكن موجودة في الابتداء، ولا تكون موجودة في الانتهاء، وموجودة الآن.

* **الثاني:** بقاء لم يكن موجوداً قط ووجد، ولا يفنى أبداً، وذلك هو الجنة والنار والآخرة وأهلها .

* **الثالث:** بقاء لا يمكن أبداً أنه لم يكن، ولا يمكن أنه لا يكون، وذلك بقاء الحق وصفاته جل جلاله، لم يزل ولا يزال ، وهو قديم مع صفاته، والمراد من بقائه دوام وجوده، ولا مشاركة لأحد معه في أوصافه.([163])

ويقسم ابن قيم الجوزية البقاء إلى قسمين :-

أحدهما : باق بنفسه بغير حاجة إلى من يبقيه، بل بقاؤه من لوازم نفسه وهو الله تعالى وحده.

ثانيهما : بقاؤه ببقاء الرب، وليس من نفسه بقاء كما أنه ليس له من نفسه وجود فإيجاده وإبقاؤه من ربه وخالقه([164]).

وما تقدم هو تعريف الفناء والبقاء في العلم واللغة ، وليس في الحال . لأن تعريف الفناء والبقاء في الحال هو ما ذهبت إليه طوائف الصوفية.

فالفناء عندهم هو اسم لاضمحلال ما دون الحق علماً، أو هو ذهاب القلب من هذا العالم وتعلقه بالعلي الكبير الذي له البقاء([165]) . والفناء ينقسم إلى ثلاث درجات: **الأولى:** فناء أهل العلم

المتحققين به . و**الثانية:** فناء أهل السلوك والإرادة . **والثالثة:** فناء أهل المعرفة المستغرقين في شهود الحق سبحانه.

والأولى منها يقسمها ابن قيم الجوزية إلى ثلاثة أقسام وهي:–

1– فناء المعرفة في المعروف: وهو غيبة العارف بمعروفه عن شعوره بمعرفته ومعانيها، فيفنى به سبحانه عن وصفه هنا وما قام به . فإن المعرفة فعله ووصفه، فإذا استغرق في شهود المعروف فني عن صفة نفسه وفعلها، ولما كانت المعرفة فوق العلم وأخص منه كان فناء المعرفة في المعروف مستلزمًا لفناء العلم في المعرفة، فيفنى أولاً: في المعرفة ثم تفنى المعرفة في المعروف.

2– فناء العيان في المعاين: فالعيان فوق المعرفة ، فإن المعرفة مرتبة فوق العلم ودون العيان. فإذا انتقل من المعرفة إلى العيان فني عيانه في معاينه، كما فنيت معرفته في معروفه.

3–فناء الطلب في الموجود: فهو أن لا يبقي لصاحب هذا الفناء طلب . لأنه ظفر في المطلوب المشاهد ، وصار واجداً بعد أن كان طالباً.

ويوضح ذلك ابن قيم الجوزية بقوله :– "فالإدراكُ أولاً علمٌ، ثم يقوى فيصير معرفة. فيصير عياناً. ثم يتمكن فيصير وجوداً ".

ثم يزيد توضيح ذلك بضرب الأمثال ومن ذلك ضرب مثالاً في الحب فقال : محب استغرقت محبته شخصاً في غاية الجمال والبهاء ، وأكبر أمنيته الوصول إليه ، ومحادثته ورؤيته.فبينما هو على حاله قد ملأ الحب قلبه وقد استغرق فكره في محبوبه، وإذا به قد دخل عليه محبوبه بغتة على أحسن هيئة. فقابله قريباً منه. ليس دونه سواه. أفليس هذا حقيقاً أن يفنى عن رؤية غيره بمشاهدته؟ وأن يفنى عن شهوده بمشهوده، بل وعن حبه بمحبوبه؟ فيملك عليه المحبوب سمعه وبصره وإرادته وإحساسه، ويغيب به عن ذاته وصفاته .

وضرب مثالاً كذلك بالنسوة اللواتي قطعن أيديهن حين رأين جمال يوسف عليه السلام، والفناء الذي حصل لهن من جانبين :–

أحدهما: ذهولهن عن الشعور بقطع ما في أيديهن حتى تخطاه القطع إلى الأيدي .

الثاني: فناؤهن عن الإحساس بألم القطع.([166])

وكل ما تقدم هو في الدرجة الأولى من الفناء وهي فناء أهل العلم المتحققين به.

الدرجة الثانية من الفناء: فناء أهل السلوك والإرادة.

وهو فناء شهود الطلب لإسقاطه، وفناء شهود العلم لإسقاطه وفناء شهود العيان لإسقاطه. وهذه الدرجة أعلى من سابقتها لأنه يسقط عن قلوبهم ذكر أحوالهم ومقاماتهم لما هم فيه من الشغل بربهم .

والمراد بقوله لإسقاطه هو إسقاط الشهود لا إسقاط المشهود([167]) فالشهود صفة العبد والمشهود هو الرب عز وجل.

وهذا الكلام شبيه بما قبله فإن النسوة قطعن أيديهن لأنهن لم يشعرن بأحوالهن وإحساسهن بل شغلن في الإحساس والشعور بما يشاهدنه من جمال يوسف عليه السلام . ولعل مراده في قصة النسوة فناؤهن عن الإحساس والشعور في المشاهدة وليس فناء المشاهدة في الشهود وليس فناء الشهود في المشاهد والله أعلم .

وأما الدرجة الثالثة: وهي فناء أهل المعرفة المستغرقين في شهود الحق سبحانه ويسميها ابن القيم الفناء عن شهود الفناء سالكاً سبيل البقاء.

ففي الدرجة الثانية فني عن شهود طلبه وعلمه وعيانه مع شعوره بفناء ذلك ، وفي هذه الدرجة – الثالثة – فني عن ذلك كله وفني عن شهود فنائه ...... ومن فني فقد تأهل للبقاء بالحق، وهذا البقاء هو بعد الفناء فإذا تحقق بالفناء شمر سالكاً طريق البقاء وهي القيام بالأوراد وحفظ الواردات فحينئذ يرجى له الوصول([168]) . وهو غاية ما يسعى إليه السالكون.

وتقسيم شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله الفناء إلى ثلاث درجات أوضح من تقسيم ابن قيم الجوزية فقد قسمه شيخ الإسلام كما يلي :-

النوع الأول من الفناء: ويسميه الفناء الديني الشرعي الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب([169]) وهو الفناء عن عبادة السوي وهذا حال النبيين عليهم السلام وأتباعهم([170]) وهو الفناء عن إرادة ما سوى الله تعالى ، بحيث لا يحب إلا الله ، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يطلب غيره ؛ وهو المعنى الذي يجب أن يقصد بقول الشيخ أبي يزيد حيث قال: " أريد أن لا أريد إلاّ ما يريد " أي المراد المحبوب المرضي ؛ وهو المراد بالإرادة الدينية وكمال العبد أن لا يريد ولا يحب ولا يرضى إلا ما أراده الله تعالى ورضيه وأحبه، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، ولا يحب إلا ما يحبه الله كالملائكة والأنبياء والصالحين. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ قالوا: هو السليم مما سوى الله، أو مما سوى عبادة الله ...([171]) وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وطاعته عن طاعة ما سواه.([172])

ولعل هـــذا المعنى الذي أشـــار إليـــه أبو القاسم عبد الكـــريم بن هـــوازن القشـــيري (376 ــ 465هــ)بقوله: " الفناء سقوط الأوصاف الذميمة وبروز الأوصاف المحمودة، وذلـــك أيضاً ما ذهب إليه الجرجاني.(173)

وقد أشار أبوحامد الغزالي في تهذيب الأخلاق إلى هذا النوع من الفناء بقوله: كمـــا أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها، فإن كانت بالحرارة فبـــالبرودة وإن كانت برودة فبالحرارة ، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها، فيعالج مرض الجاهل بالتعلم، ومرض البخل بالتسخي، ومرض الكبر بالتواضع."(174)

ويوضح ذلك علي بن عثمان الهجويري رحمه الله بقوله: " حين يفنى الجهل فلا محالة أن يبقى العلم، وحين تفنى المعصية تبقى الطاعة، وعندما يحصل للعبد العلم والطاعة فإن الغفلـــة تفنى أيضاً ببقاء الذكر.(175)

والنوع الثاني من الفناء: وهو الفناء عن شهود السوي، وهو الذي يحكى عن كثير من السالكين، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله تعالى وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عـــن أن تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد، ولا يخطر بقلوبهم غير الله ، بل ولا يشعرون كما قيـــل في قوله تعالى: **﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَـــادَتْ لَتُبْـــدِي بِـــهِ لَوْلَـــا أَنْ رَبَطْنَـــا عَلَـــى قَلْبِهَـــا﴾**(176) قالوا فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى وهذا كثير يعرض لمن فقمه أمر مـــن الأمور إما حب ، وإما خوف ، وإما رجاء يبقى قلبه منصرفاً عن كل شيء إلا عما قد أحبـــه أو خافه أو طلبه ؛ بحيث يكون عند استغراقه لا يشعر بغيره.

فإذا قوي على صاحب الفناء هذا فإنه يغيب بموجوده عن وجوده ، وبمشـــهوده عـــن شهوده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته حتى يفنى من لم يكن ، وهي المخلوقـــات المبعدة ممن سواه، ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى ، والمراد فناؤها في شهود الرب وذكره ، وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدها ، وإذا قوي هذا ضعف المحب حتى اضطرب في تمييزه .

فقد يظن أنه هو محبوبه كما يذكر أن رجلاً ألقى نفسه في اليم فألقى محبه نفسه خلفـــه فقال: أنا وقعت فما أوقعك خلفي قال: غبت بك عني فظننت أنك أني.(177)

ولعل هذا ما ذهب إليه الدارسون لظاهرة (التأمل الارتقائي) من أن تركيز الـــذهن مـــع الترديد المستمر لمعنى إيماني أو لصورة ذهنية لها قيمتها الكبيرة لدى الشخص المتفكر سيؤدي به حتماً إلى تصور أعمق ومفاهيم جديدة عن الشيء موضع التفكر والتأمل ويرتقى به إلى أفق أرفع من المعاني والتصورات التي لم يكن ليدرسها بسبب الحياة العادية ، والألف القاتلـــة ، والإدراك الحسي الروتيني المحدود ، ومن ثم كانت تسميته بالتأمل الارتقائي.(178)

وفي هذا المعنى يقول أبو سعيد الخراز: "الفناء فناء العبد عن رؤية العبودية والبقاء بقاء العبد بشاهد الألوهية ".([179])

أما النوع الثالث من الفناء : وهو الفناء عن وجود السوي، بحيث أن وجود المخلــوق هو عين وجود الخالق، وأن الوجود واحد بالعين وهو قول أهل الإلحاد والاتحاد الذين هــم مــن أضل العباد.([180]) وأهل هذا المقام يشهدون الحق قبل شهود الخلق ، بمعنى أنهم لا يرون الخلــق أصلاً ، إذ لا ثبوت له عندهم لأنهم لسكرتهم غائبون عن الواسطة ... وفــي هــذا المقــام قــال بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه.([181])

يقول أحد مشايخ الطرق في هذا المعنى:

ففــي فنائــي فنــاء فنائي   وفي فنائي وجدتُ أنتَ
محوت اسمي ورسم جسدي   سئلتَ عني فقلت أنت([182])

وهذا الفناء هو غاية الصوفية ، وهو نهاية ما تصــبو إليــه ، وتطمــئن لــه قلــوبهم ومسامعهم.([183]) .

ونستطيع أن نجمل ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما يلي :-

1- فناء الصفات والإرادة : بحيث يجعل الصوفي فناء صفاته الذميمة ليبقى بصفاته الحميــدة ، فيفنى عن الجهل ليحصل له العلم ، ويفنى عن الشرك ليحصل له التوحيد ، ويفنى عــن الكبــر ليحصل له التواضع ، ويفنى عن المعصية لتحصل له الطاعة .

وهذا النوع من الفناء موافق لما جاءت به الرسل عليهم السلام ، لأن كلمة التوحيد فيها التخلــي قبل التحلي ، والبراء قبل الولاء ، لا إله إلا الله، فلا إله براءة من جميع الآلهة وتخلي عنها ، إلا الله الولاء لله وحده والعبادة له وحده سبحانه .

2- فناء الشهود : وهو أن يفنى العبد عن شهود الخلق، ويبقى شاهداً للحــق ســبحانه ، فهــو لانسيابه واستمراره في ذكر الله على لسانه وعلى فكره فيشهد الله عز وجل ويغيب عن الخلق.

وفي هذه الحالة يفقد الصوفي التمييز بين المخلوقات لغيابه في فنائه عن شهودها، وليس هذا هو الكمال ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكمل البشر على الإطلاق ، كان يميز بين المخلوقات وكان صلى الله عليه وسلم أعظم ذكراً وفكراً من غيره وأكثر استغراقاً أيضاً .

3- فناء الوجود : وهو أن يفنى الصوفي عن وجود ذاته ليبقى بذات ربه عز وجل وهذا هو عين القول بالحلول وبوحدة الوجود ، وهذا هو قول الملاحدة والفلاسفة القدماء، وهذا النوع هو غاية ما يصبو إليه غلاة الصوفية.

الرد على القائلين بالفناء

1– القول بالفناء يرجع إلى أصول غريبة ، فهو يشبه " مذهب النسطورية من الروم النصارى، وهو أنهم يقولون بأن مريم فنيت عن كل أوصاف الناسوت بالمجاهدة، واتصل بها بقاء اللاهوت، وأدركت البقاء بذلك، حتى بقيت ببقاء الله، وكان عيسى نتيجة ذلك، ولم يكن تركيب عيسى من أصل إنساني، لأن بقاءه تحقيق لبقاء الإلهية ، فهو وأمه والله باقون ببقاء واحد هو القديم، وصفة الحق ".([184])

2– القول بالفناء يجعل المحدث محل للقديم والقديم محل للمحدث " ولا يمكن أن يكون المحدث محل للقديم، والقديم محل للمحدث، وكيف يكون للقديم وصف محدث، وللحديث وصف قديم؟ وجواز هذا هو مذهب الدهرية ...... ولو جاز أن تحل صفة القديم في المحدث، أو صفة المحدث في القديم، لجاز أن يقال للمحدث صانع، وللصانع محدث، وهذا ضلال، ولأنه لو جاز ذلك لكان حكم الشيئين سواء وهذا محال ".([185])

3– لم يرد في الكتاب، ولا في السنة، ولا في كلام الصحابة والتابعين مدح لفظ الفناء ولا ذمه، ولا استعملوا لفظه في هذا المعنى البتة، ولا ذكره مشايخ الطرق المتقدمون ولا جعلوه غاية أو مقاماً. بل هو مذكور في كلام القدماء قبل الإسلام بمئات السنين، في فلسفة الهند والصين واليونان . وابن القيم رحمه الله قال :إن القول بالفناء فيه تفصيل، وقد تقدم تفصيل ذلك، وإذا كنا نعيب على الصوفية قولهم بالفناء، فنحن لا نقصد فناء الصفات والإرادة بمعنى ترك الصفات الذميمة والاتصاف بالصفات الحميدة وجعل إرادة الإنسان متعلقة بما يريده الله إرادة شرعية وبما يأمر به ويحبه، بل نعيب عليهم عدم التمييز أو القول بما يشبه قول الملاحدة والاتحادية والحلولية.

4– إن العبد حين يفنى عن حسه وشعوره وتحصل له غيبة عن نفسه وحضور مع الله، لا يكون على الكمال، بل الذي يعبد الله مع إحساسه بذاته ، وشعوره بذاته وما حوله أكمل قال ابن القيم: " فتأمل حال عبدين في خدمة سيدهما، أحدهما يؤدي حقوق خدمته ، في حال غيبته عن نفسه وعن خدمته لاستغراقه بمشاهدة سيده، والآخر يؤديها في حال كمال حضوره وتمييزه وإشعار نفسه بخدمة السيد وابتهاجها بذلك فرحاً بخدمته وسروراً والتذاذاً منه، واستحضاراً لتفاصيل الخدمة ومنازلها وهو مع ذلك عامل على مراد سيده منه لا على مراده من سيده فأي العبدين أكمل؟ " بلا شك أن من عبد الله مستحضراً فكره وشعوره وإحساسه أكمل .

فإن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين عرج به إلى السماوات العلا ورأي من آيات ربه الكبرى، لم تعرض له هذه الحال أي حال الفناء بل كان كما وصفه الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ

الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْـرَى﴾([186]) وكـذلك الصـحابة رضـي الله عـنهم أجمعين.([187])

5- يزعم بعضهم أن الفناء هو اصطلاح اصطلحه القوم ولا مشاحة في الاصطلاح ، وهذا الكلام لا يصح ولا يقبل لأن هذا الاصطلاح ترتب عليه فساد ففيه مشاحة لأنه هو الأساس الـذي بنـى عليه القوم مذهبهم في القول بوحدة الوجود، وما لزم منه الباطل فهو باطل.([188])

ملاحظة : قد يقول الصوفي أرى الله في كل شيء، ولا يقصد القول بوحدة الوجـود فيجـب أن نستوضح من هذا القائل قصده، فإن كان قصده أن هذه الأشياء ذات الله تعالى أو حل الله تعـالى فيها فيعاب عليه وهو المقصد السيئ وهو الذي وقع فيه غلاة الصوفية .

أما إذا كان قصده أرى الدليل على وجود الله تعالى في كل شيء ، أو أرى عظيم قدرة الله في هذه المخلوقات فهذا معنى حسن.

فإذا لم نستطع أن نتبين مقصود القائل، فننظر إلى حال القائل فـإذا اشـتهر بالصـلاح والتقوى وحسن الطوية، والغيرة على الدين ، فيحمل قوله على المحمل الحسن، وإلا فلا.

حكم العلماء على غلاة الصوفية

وبناءً على فساد هذه العقائد وما يترتب عليها من ضلال فقد أنكر العلماء على معتنقيها أشد الإنكار، وقد أجمعوا على كفر من اعتقد بهذه العقائد، ومن ذلك ما نقل عن القاضي عيـاض رحمه الله تعالى قال:" أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول، ومن ادعـى حلـول البـاري سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض الصوفية والباطنية والنصارى والقرامطة" .([1])

وقال أبو نعيم الأصفهاني: ذاكراً أصناف الصوفية من زهاد وغيرهم حتى انتهـى بـه المقال إلى القول والمباحية والحلولية الكفار كصنف من أصنافهم . وقد حذر سهل بـن عبـد الله التستري من الذين يبالغون في التوحيد وحقيقته حتى ينتهوا إلى القول بالحلول والاتحاد، ثم قـال: والاتحاد أخو الحلول الذي هو كفر، وكان الشيخ أبو العباس المرسي تلميذ الشيخ أبـي الحسـن الشاذلي ــ وكلاهما من الصوفية وأصحاب الطرق ــ ينكر شديد الإنكار على الحلولية([2]) وقـد ذكر ابن تيمية رحمه الله كفر وضلال من قال بوحدة الوجود وبالحلول واعتبرهم أكفر من اليهود والنصارى. ([3])

وذكر ابن حجر العسقلاني رحمه الله: إن أكابر غلاة الصوفية لما تكلموا فـي مسـألة المحو والفناء كان مرادهم بذلك المبالغة في الرضا والتسليم وتفويض الأمر حتى ضاهى بعضهم المرجئة في نفي نسبة الفعل إلى العبد، وجر ذلك بعضهم إلى معذرة العصاة ثم غلا بعضهم فعذر الكفار ثم غلا بعضهم فزعم ان المراد بالتوحيد اعتقاد وحدة الوجود .([4])

أضف إلى ذلك مخالفة هذه العقائد لصحيح النقل وصريح القرآن والحديث، ومناقضـــتها لما ترتاح إليه الفطرة السليمة التي أودعها الله النفوس البشرية، ولا يقبل ذلك أحدٌ ذو عقل سليم.

كما أن هذه العقائد مثار شر كبير وفتنة بين المسلمين، وسببٌ في تكفير معتنقيها، ومـــن هنا كانت ضرورة بيانها والرد على من آمن بها أو دعا إليها.

الخاتمة

الحمد لله فـــي البـــدء والختـــام، الحمد لله على كمال الدين وتمام النعمة، الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام ديناً ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُـمُ الإِسْـلامَ دِيناً**﴾([189])

والصـــلاة والســـلام علـــى النبـــي الأمـــي سيدنـــا محمـــد ﷺ الذي لـــم يـــدع خيراً إلاّ ودلنا عليـــه، وحذرنـــا مـــن كـــل شر يعلمه الذي وصفـــه بـــه بقولـــه ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَـنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾([190])، الذي نصـــح الأمـــة وفرج الله به الكربة وبلـــغ الرســـالة وأدى الأمانـــة وجاهـــد فـــي الله حـــق جهـــاده ... وبعد :

فقد خلصت في هذا البحث إلى النتائج التالية

–إن اعتقاد الصوفية بوحدة الوجود مناقضٌ لعقيدة التوحيد، ويؤدي إلى تعطيل الشـــريعة، وإلـــى تخطيء الرسل فيما جاءوا به من الحق .

–من أصول الدين الإيمان بالله تعالى، والاعتقاد بأنه بائن من خلقه، ولا يحل فيهم ولا يحلون فيه، ولا تحوزه الأمكنة، وغلاة الصوفية يناقضون هذه العقيدة بقولهم بالحلول والاتحاد والوحدة .

–المعرفة عند غلاة الصوفية يحصلون عليها عن طريق الكشف والرؤى المنامية، والذوق، وهذا من أكبر أسباب الضلال، حيث تزودوا بالعلوم الشيطانية، وابتعدوا عن العلوم الشرعية .

–لا يصح تدين إنسان أو عبادته إلاّ إذا كان على طريق الرسول ﷺ ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾([191]) .

–موقـــف غـــلاة الصوفيـــة مـــن الرســـول محمـــد ﷺ فيه غلو واعتـــداء علـــى خصـــائص الألوهية والربوبية، وبعضهم فرط في حقه ﷺ فأعطوا حق التشريع والطاعة والعصمة لمشايخهم، وبعضهـــم أعطوا لمشايخهم ما هو من خصائص الربوبية كالتصـــرف فـــي الـــرزق، وشـــفاء المرضى، والتصرف في بعض شئون الكون .

–كثـــر استعمال الألفاظ الغريبـــة عنـــد غـــلاة الصوفيـــة، ويترتـــب علـــى ذلـــــك فســـــاد فـــي العقائـــد .

-الفنــاء عنــد الصوفيــة يؤدي إلــى الغيبوبــة وزوال العقــل، وهـــذا لا يـــدل علـــى كمــال فــي التديــن، وإن الرسول ﷺ وصحبــه رضي الله عنهــم لــم يكونــوا علــى ذلــك، ولم يتكلفــوا الوصــول إلــى ذلــك . وإن الصوفيــة يصلـــون إلـــى ذلـــك بالطـــرق المبتدعــة .

-نزع الصوفيــة إلــى تفسيــر القــرآن تفسيراً باطنيــاً ليخدم معتقداتهم الباطلة مبتعدين عــن التفسير بالمأثور وهو أفضــل التفاسيــر، تاركين أقوال أئمة التفسير الذين فسروا القرآن بالرأي.

لذا فإنني أحذر من هذه العقائد لأنها كما أسلفت تؤدي إلى الكفر والضلال .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش والمراجع

(1) سورة آل عمران : الآية 102.

(2) سورة النساء : الآية 1 .

(3) سورة الأحزاب : الآيات 70- 71 .

(4) المعجم الفلسفي د. عبد المنعم الحفني، ط1 الدار الشرقية مصر، 1410 – 1990 ، ص380 .

(5) انظر: دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة بيروت، ط3، 1971م،698/10 .

(6) أتباع الفيلسوف دينون، كانوا يسمون بذلك لأنه كان يدرس في رواق. انظر: المرجع السابق 700/10 .

(7) دائرة معارف القرن العشرين698/10 والموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة أعمــال الموســوعة، الريــاض، 1416 – 1996م ، 182/1

(5) مقدمة ابن خلدون ، دار العودة، بيروت، ص339، وانظر في معنى الجمع والفرق القشيرية، دار الخير، بيروت، دمشق، ط1 ، سنة 1408هـ – 1988م، ص64 والتعريفات للجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، سنة 1403هـ – 1983م، ص77 .

(9) انظر : تاريخ الإسلام،شمس الدين الذهبي،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي،بيروت،ط1، 1415ــ 1994 ، 35 /115 وسير أعلام النبلاء ، للذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت،ط6 ، 1989ــ1409 ، 19 /322 ، و الإمام أبو حامد الغزالي في ذكرى مرور تسعمائة سنة على وفاته، من منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (أيسسكو) فريد جحا، ص34 – 35 .

(10) انظر : درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام بالرياض، ط 1 ، 1401 هـــ – 1981م ، 283/10 .

(11) انظر إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار الفكر، بيروت، 212/4 .

(12) السابق 330/1

(13) معارج القدس للغزالي ص5 .

(14) ديوان ابن الفارض ، تحقيق ودراسة د. عبد الخالق محمود، الناشر/ عين للدراسات والبحوث/ مصر، ص308 .

(15) السابق، ص249، 248 .

(16) نفس المرجع، ص252 .

(17) المرجع نفسه ، ص97 .

(18) المرجع نفسه ، ص 377 ــ 378 وانظر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة المعارف ، الرباط المغرب، 246/2 .

(19) انظر فصوص الحكم ابن عربي، دار إحياء الكتب العربية، 1365هـ – 1946م، ص48 وما بعدها.

(20) السابق 76/1 .

([21]) الفتوحات المكية لابن عربي، ط القاهرة، 1298هـ، 604/2 .
([22]) مقدمة فصوص الحكم ، كتبها د. عفيفي ، ص25 .
([23]) مجموع فتاوى ابن تيمية 111/2 .
([24]) الفتوحات المكية ط القاهرة 1298هـ 604/2 .
([25]) الفتاوى 247/2 .
([26]) انظر الموسوعة الصوفية، د. عبد المنعم الحفني/ دار الرشاد، ط1 ، 1412هـ – 1992م، ص198 والصفدية 296–300 ، رسائل ابن سبعين لعبد الحق بن سبعين، الرسالة الفقيرية ص 12 نقلاً عن مناهج الإسلاميين للدكتور/ صالح الرقب، رسالة دكتوراه – غير منشورة مقدمة في جامعة الإمام ، الرياض ، 1412هـ ص 780 .
([27]) رسائل ابن سبعين مقدمة المحقق ، رسالة الإحاطة – ص143 ، نقلاً عن مناهج الإسلاميين ص 780 .
([28]) خطاب الله بلسان نوره ، رسائل ابن سبعين، ص240 نقلاً عن مناهج الإسلاميين ص 781 .
([29]) مشكاة الأنوار للغزالي، ص19–21 .
([30]) مشكاة الأنوار للغزالي، ص420 .
([31]) مجموع الرسائل والمسائل، ابن تيمية، لجنة التراث العربي، القاهرة، 77/1، 23/4 .
([32]) السابق 23/4 .
([33]) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص100، الصفدية 244/1–245 .
([34]) الفتاوى 245/2 .
([35]) الإنسان الكامل عبد الكريم الجيلي، المطبعة الأزهرية، ط1، 1326هـ، 19/1 نقلاً عن مناهج الإسلاميين ص 790 .
([36]) المناظر الإلهية للجيلي، ص198 نقلاً عن مناهج الإسلاميين ص790 .
([37]) هذه هي الصوفية/ عبد الرحمن الوكيل هامش، ص146 .
([38]) السابق 37/1 .
([39]) الجاثية 13 .
([40]) هذه هي الصوفية 38/1 .
([41]) الإنسان الكامل للجيلي 19/1 نقلاً عن مناهج الإسلاميين ص 790 .
([42]) انظر الصفدية 169/1 .
([43]) أخبار الحلاج " ديوان الحلاج وأخباره وطواسينه – جمعه وقدم له سعدي ضناوي – دار صادر – بيروت ط1 – 1998 م – ص122 .
([44]) السابق، ص 126 .
([45]) نفس المرجع، ص99 .
( ) نفس المرجع، ص 49 .
([47]) فصوص الحكم 195/1 .
([48]) شرح عبد الرحمن الجامي على الفصوص 87/2 . زميل ذلك للحلاج – انظر ديوان الحلاج ص88، 136
([49]) ديوان ابن الفارض، ص308 ، وانظر هذه هي الصوفية عبد الرحمن الوكيل 98.
([50]) الإنسان الكامل 64/1 . انظر مناهج الإسلاميين ص 811 .
([51]) الإنسان الكامل للجيلي 75/2 انظر مناهج الإسلاميين ص 811 .
([52]) الإنسان الكامل 69/1 انظر مناهج الإسلاميين ص 812 .
([53]) انظر الفتاوى 475/2 .
([54]) الزمر 64 .
([55]) الأنعام 14 .

([56]) فاطر 3 .

([57]) الأنعام 114 .

([58]) الفتاوى 339/2 .

([59]) انظر : مجموعة الرسائل والمسائل 182/1، 26/4 .

([60]) السابق 28/4، 25 .

([61]) السابق 77/1، 78 .

([62]) الفتاوى 305/2 .

([63]) الطور 35 .

([64]) آل عمران 85 .

([65]) المائدة 51 .

([66]) المجادلة 22 .

([67]) الممتحنة 40 .

([68]) غافر 45-46 .

([69]) انظر الفتاوى : 124/2 .

([70]) الذاريات 56 .

([71]) المؤمنون 115 .

([72]) مجموع الفتاوى 309/2 .

( ) ينسب مذهب النسطوريين إلى نسطور الحكيم بطريرق القسطنطينية سنة 34 م ويقوم مذهبهم على ما يلي(أن مـريم لـم تلـد إلاهـاً لأن المخلوق لم يلد الخالق، فمريم ولدت إنساناً وعلى هذا فمريم لا تسمى والدة الإله، بل والدة المسيح الإنسان، ثم جاء اللاهوت لعيسى عليه السـلام بعد ولادته، أي اتحد عيسى بعد ولادته بالأقنوم الثاني الإبن اتحاداً مجازياً فمنحه الله المحبة ووهبة النعمة) واعتبر هذا الكلام بدعة مـن نسـطور لذلك طرد من منصبه ونفي من القسطنطينية–انظر المسيحية لشلبي مكتبة النهضة المصرية ط10 سنة 1998 ص192- 193.

( ) المعية العامة معنى السمع والرؤية والمراقبة كقوله تعالى " وهو معكم أينما كنتم" والمعية الخاصة تحمل معنى المتقدم مضافاً إليـه النصر والتأييد والحفظ كقوله تعالى " لا تحزن إن الله معنا " ،"إن الله مع المحسنين" .

( ) الملكانية وهو مذهب كاثوليكي يؤمن بالطبيعتين والمشيئتين، اعتنقت هذه العقيدة كنيسة روما واتخذت به قراراً في مجمع خلقيدونية سنة 451 م حيث يقولون- (إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين - فالمسيح أقنوم إلهي بحت ولكن له ذاتين وكيانين هما الإله والإنسان وسبب تسميتها بالملكانية هو حضور زوج الملكة مجمع خلقيدونية، وينتشر هذا المذهب في سورية ومصر وفلسطين وتسمى كنيستهم بكنيسـة الروم – انظر المسيحية لشلبي ص194 .

([76]) انظر الفتاوى لابن تيمية 171/2-172 ،وانظر تاريخ السلام للذهبي 20 / 111 ـــ 112 .

( ) الفتاوى 309/2 .

([8])أخبار الحلاج الطواسين ص .

( ) انظر هذه الأقوال وغيرها في تاريخ الإسلام للذهبي / - ، ، أخبار الحلاج ص ، .

([8]) الديوان وأخبار الحلاج ص ، وانظر تلبيس إبليس لابن الجوزي، دار إحياء الكتب العربية، ص ، وانظر تـاريخ الإسـلام للذهبي / .

([8]) ديوان الحلاج ص - .

([8]) تاريخ الإسلام للذهبي / ، ديوان الحلاج ص .

([8]) ديوان الحلاج ص .

([8]) ، ديوان الحلاج ص .

([8]) تلبيس إبليس/ ابن الجوزي، ص ، ديوان الحلاج ص .

([8])المرجع السابق، ص .
* المراد بالجمع عند الصوفية (حالة إذا وصل إليها الفرد لا يميز بين الأشياء ولا بين الخالق والمخلوق).
([8]) ديوان الحلاج ص .
([88]) تلبيس إبليس/ ابن الجوزي، ص .
([8]) أخبار الحلاج/ ص .
( ) منهاج السنة النبوية لابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ، سنة هـ / .
[(3)] ديوان الحلاج ص .
( ) منهاج السنة النبوية / ، وانظر الفتاوى / .
( ) الفهرست/ ابن النديم، ص .
( ) شرح المواقف للإيجي، تأليف علي بن محمد الجرجاني ت هـ، ط ، هـ م دار الكتب العلمية بيروت، / .
( ) الفتاوى / .
( ) الفتح/ .
( ) أخرجه البخاري ومسلم .
([8]) الفتاوى / .
( ) الحديد/ .
( ) النحل / .
( ) يونس/ .
( ) الفتاوى / .
( ) انظــر الحاوي للفتــاوى/ جلال الديــن السيوطي، مطبعــة دار السعادة بمصر هـ – م، / – .
( ) الفتاوى / .
( ) تلبيس إبليس، ص .
( ) الإحياء / .
( ) الإحياء / باختصار .
([8]) الإحياء / .
( ) الإحياء / ، ص .
( ) الرسالة اللدنية، لأبي حامد الغزالي، .
( ) تلبيس إبليس ، .
( ) انظر الفتاوى / .
( ) تلبيس إبليس ، ص .
( ) السابق .
( ) نفس المرجع .
( ) المرجع نفسه .
( ) الفتاوى / .
([8]) النساء .
( ) مدارج السالكين / .
( ) السابق / .
( ) مشكاة الأنوار للغزالي، ص .
( ) القشيرية ، ص – .

( ) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة/ للغزالي – مكتبة الجندي مصر، ص .
( ) تلبيس إبليس ، ص .
( ) السابق ، ص .
( ) لسان الميزان / ، وأخرجه العقيلي في كتابه الضعفاء (/) .
( ) سنن الدرامي باب من رخص في كتابة الغلم رقم (/) .
([8]) المعجم الكبير للطبراني رقم (/) ، مجمع الزوائد (/) .
( ) وهي بدعة ابتدعتها قريش في الجاهلية فقالوا نحن أهل الحرم ولا بد أن تكون لنا ميزة عن الناس، فلا يصح لطائف أن يطوف بالبيت إلا بثوب حمسي (أهل الحرم) أو يطوف عارياً، وليس على الحمسي أن يقف مع الناس في المشاعر .
( ) الصوفية في نظر الإسلام/ سميح عاطف الزين/ دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ، ص .
( ) انظر الفكر الصوفي/ عبد الرحمن عبد الخالق، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، ط ، سنة هـ – م، ص .
( ) السابق ، ص .
( ) الرد على المنطقيين ابن تيمية، لاهور باكستان، ط ، سنة هـ – م، ص .
( ) انظر : تاج التفاسير لمحمد عثمان الميرغني، ص ، والفكر الصوفي ، ص .
( ) الياقوتة الفريدة في الطريقة التجانية/ محمد فتحا بن عبد الواحد النظيفي مكتبة مضوى السودان ، ص .
( ) التعريفات للجرجاني ، ص .
( ) أخبار الحلاج ، ص وما بعدها .
([8]) ديوان البوصيري/ شرحه وقدم له أحمد حسن بسج ، ط ، هـ – م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص – – .
( ) النفخات الأقدسية/ للبيطار ، ص – ، نقلاً عن/ عبد الرحمن الوكيل ، ص – .
( ) فصوص الحكم ، ص .
( ) مجموعة الأحزاب ، ط استنبول ، سنة هـ. نقلاً عن هذه هي الصوفية ، ص .
( ) علم القلوب/ أبو طالب المكي/ حققته وعلق عليه عبد القادر أحمد عطا ، ص ، .
( ) المجموعة المباركة/ عبده محمد بابا/ مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عباس عبد السلام/ مصر، ص .
( ) يونس ، ، .
( ) أخرجه البخاري ، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ، كتاب أحاديث الأنبياء ،باب قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم ... حديث رقم ، / .
( ) آل عمران ، .
( ) الجن ، . .
([8]) آل عمران ، .
( ) أخرجه أحمد في المسند / ، والترمذي في القدر برقم ، وأبو داوود برقم .
( ) أخرجه مسلم برقم ، وأحمد في مسنده / برقم ، وقد تكلم بعض العلماء في هذا الحديث لأن الله خلق الخلق في ستة أيام والحديث استوعب الأيام السبعة، ولعل الله تعالى خلق الخلق في ستة أيام كما ورد في القرآن ثم خلق آدم يوم الجمعة في آخر الخلق ويزيد الله في الخلق ما يشاء فلا تعارض .
( ) الكهف .
( ) الطور .
( ) الحاقة – .
( ) الضحى – .
( ) البقرة .

( ) انظـر : أسباب النـزول للسيوطي فـي حاشية تفسيـر الجلالين مكتبة العلوم الدينية، بيروت ، ص – .
( ) الكهف – .
([8]) الذاريات .
( ) الرحمن .
( ) التحفة المهمدية شرح الرسالة التدمرية، فالح بن مهدي آل فالح ط دار الوطن الرياض هـ ص .
( ) الرحمن .
( ) مدارج السالكين / .
( ) كشف المحجوب للهجويري دراسة د. إسعاد عبد الهادي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر هـ– م ، / .
( ) مدارج السالكين / .
( ) مدارج السالكين / – .
( ) مدارج السالكين / – .
( ) السابق ، ص .
([8]) السابق / .
( ) الرسالة التدمرية ، لابن تيمية ، المكتب الإسلامي ، ط ، هـ ، ص .
( ) مجموع الفتاوى / .
( ) السابق / .
( ) السابق / ، التدمرية ، ص .
( ) الرسالة القشيرية ، ص ، التعريفات للجرجاني ، ص .
( ) الإحياء للغزالي / .
( ) كشف المحجوب للهجويري / .
( ) القصص .
( ) الفتاوى / ، / ، وانظر التدمرية ، ص .
([8]) التفكير من المشاهدة إلى الشهود ، د. مالك بدوي، ط. هـ – م ، ص .
( ) كشف المحجوب للهجويري / .
([8]) الرسالة التدمرية ، ص ، وانظر مجموع الفتاوى / ، / .
([8]) التصوف حياة وسلوك/ محمد الفقي من علماء الأزهر تقديم عبد الحميد محمود/ القاهرة، هـ – م ، ص – .
([8]) ديوان الحلاج ص .
([8]) التصوف حياة وسلوك ، ص .
([8]) كشف المحجوب / للهجويري / .
([8]) السابق / – .
([8]) النجم – .
([8]) انظـر : التحفـة المهديـة شرح التدمرية / فالح بن مهدي آل فالح ، ط ، هـ ، دار الوطن، ص –
([88]) انظـر : مجلـة البحوث الإسلاميـة ، عدد ، إدارة البحوث في الرياض ، سنة – ، ص .
– مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية /
– الحاوي للفتاوى/ جلال الدين السيوطي ، مكتبة الرياض الحديثة / –
– مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية /
– فتح الباري، دار الفكر ببيروت، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب /
([8]) سورة المائدة : الآية .

( ) سورة النجم : الآية ، .
( ) سورة الحشر : الآية .